

مكتبة
يامن تخشعون

تأليف

فاطمة الظواهري



0193221

Bibliotheca Alexandrina

أهداء

اليهم .. الى كل من علمنى الحب .. الكره .. الشجاعة
الجبن .. الشجاعة .. الحذر .. المقامرة .. الخوف .. القوة
الضعف .. التسامح .. الجحود ...
علمونى ولم اعمل ابدا بعلمهم .. اجبرونى ولم اجبر
على الفيل من اخلاقهم ...
المونى ولم اندم على معرفتهم .. قهرونى ولن استسلم
ابدا لقهرهم ..
واتمنى لهم ان يتعلموا من السلبيات السابقة والى
بكل المراهة عرفت معناها .. ويتعلموا الايجابيات والى
ابدا لن انساها ..
كما اخص بالذكر اهدائى وبكل الامتنان والمحبة والعرفان
بالجليل كل من وقف بجانبى فى محنتى وضعفى .. واخذ بيدي ..
وشد من اذرى .. وقوى عزيمتى .. واولهم واعظمهم والذى ..
وولدائى اسماعيل ومحمد .. واصدقائى .. اليهم عظيم شكرى
وتقديرى ووافر حبى وميثرتى ...
اليهم اهدى تلاميذى مع امنياتى

فاطمة الطواهرى

تألمة الطواهرى

من الساقطة

هذه القصة حائزة على جائزة الدولة

التقديرية للقصة القصيرة من الدكتور

أحمد قبيسكل

في حجرتها الصغيرة جلست <<منى>> في محاولة بهائسة هزيلة أن تستجمع شتات عقلها لاستذكار دروسها المتراكمة .. كلما تأهبت لفهم واستيعاب درسها لاستطيع بسبب الشجار والضجيج الدائم من والديها .. نهضت في عصبية جنونية .. فتحت دوح مكتبها .. التفتت قطعة من القطن قسيتها لقطعتين لتضعهما في أنفيها عليها تمنع تسرب ذلك الضجيج الهائل .. راحت تنمرد على سريره في محاولة للاستسلام للنوم الذي طالما خاضع عيونها .. أخذت تلعن تلك الحادثة التي تعرضت لها الأسرة المنكوبة .. كانت الأسرة في طريقها لقضاء إجازة الصيف في الإسكندرية .. أصرت الزوجة على قيادة السيارة في الصاع وعناد .. وضع الزوج أمام عنادها .. وامرارها .. اتساع الطريق اختلست عجلة القيادة منها .. انحرفت السيارة .. انقلبت والنتيجة إصابة الزوج والأبناء بإصابات عميقة وأخطرها إصابة الأب بعجز كامل جعله حبيس الفراش لأكثر من ثلاث سنوات .. مما جعله جاد المزاج .. عصبى الطبع .. تائرا .. هائجا على كل خطوة تصدر من أي فرد من أفراد العائلة صغيرها وكبيرها .. الأم متوترة الأعصاب .. دائمة القلق .. وما حيلة <<منى>> المسكينة إلا أن ترتب على كتفي أمها تارة لتهدئتها ووالدها تارة أخرى .. وهي التي أصبحت مهددة الأعصاب .. كتومة .. ضالمة لتورثها على هذا الوضع الكئيب والخانق في ذلك البيت .. خرجت من حجرتها لتتدخل في حل النزاع القائم بين والديها وطلبت من الأم أن تفسر

لزيارة بعض الجيران . لتغير مسار الحديث والمحادثة بينهما
 . عادت الأم بعدها هادئة بآسرة .. متفائلة بعكس حالتهما
 لسابقة مما أثار دهشة <<منى>> ولكن حتما كانت سعيدة بحالة
 بها سعيدة ببسمة التي طالت غيبتها منذ زمن طال أمده ...
 سألتهما في لحة ساذجة

- أرجو أن تكوني في أسعد حال .. ما .. ماذا فعلت ؟
 - أبدأ <<منى>> ذهبت لنزلة خلوية قصيرة .. هدأت خلايا نفسي
 واهكرت على اقتراحك هذا ..
 - على العموم هذا أفضل الحلول .. كلما تفاقت الأوضاع واشتد
 العراق بينك وبين أبي فالأفضل أن تتركى البيت قليلا حتى تنفخ
 الأزيز

- نعم .. نعم .. مبررتي هذا أفضل التراجع ..
 - لكن أرجو أن تعزريه فهو أيضا له الحق .. الفاعز كان الله
 في عونك .. فاحساسه بالعجز وطول سكونه جعله لا يهتد الحياة ..
 لم ترد الأم بل أدارت ظهرها لها طالبة منها اعداد العشاء
 لوالدها وأعلنت أنها لن تاكل وستدخل لتنام ..

هناك الحال على ذلك الوضع .. يبدأ الحوار ليشتد هوبنا ..
 هوبنا الى أن يهمل الى حد العراق وتبادل الالفاظ الحادة ..
 لتخرج <<منى>> طالبة من أمها الخروج بعدها تعود الأم متأخرة
 .. والبعض العشاء .. وتنام .. هكذا .. هكذا تكررت الأحداث ..

وتتأملت حتى أصبحت بمفلة دورية .. متكررة .. متقاربة الى الحد
الذى لاحظت فيه <<منى>> ان أمها هي التي كانت تتعمد اشارة الاب
العاجز لتوصيله الى حد العراق والعصبية كي تهب خارجا . محتجة
أمام أبنائها أنها لم تعد تحتفل الحياة في هذا البيت . لتعود
متأخرة .. وهكذا دامت العلاقة في صورة متكررة مما أثار الشك
والريبة من <<منى>> في سلوك والدتها الجميلة الشابة .. تعجبت
.. تسالت .. كم راودها الف سؤال وسؤال وعندما تهم لتسأل
أمها في جرأة على هذا السلوك الطارئ على حياتها بمنعها
حياتها لترتد في حجل .. كيف تجرؤ الابنة الشابة ان تسأل أمها
ذلك السؤال المشين الذي ربما يחדش حياتها وكرامتها وهي التي
كم عانت من خدمتهم .. والتفاني في رعايتهم وخاصة بعد تلك
الحادثة الطعينة وهي التي حاولت بكل قوتها ان تستمر الاوضاع
في صورة طبيعية في البيت مطهية طلبات وعلاج وخدمة الاب بكل
الوسائل فلم تشكو .. ولم تتور .. على ارادة الله .. فكيف اذا
تأتى الآن <<منى>> المسكينة المتجرا على أمها وتتشكك في سلوكها
.. فكيف ؟ .. كيف ؟ ..

تحسست <<منى>> الاحداث في صمت يلج عليها الاستفسار كي
تفهم شيئا عن سلوك أمها الطارئ .. بهار عقلها الصغير .. يكاد
يضيء وسط الاحداث هناك تتعمد الام اشارة غضب الاب ؟ لتهب خارجا
في عصبية جنونية مرتدية أجمل الثياب وفي أبهى زينة لتعود

تسألك .. منتشبة .. سعيده .. لماذا ؟ وكيف ؟ وأين تذهب ؟ ..
ومع من تتقابل ؟ آلاف من الأسئلة المجهولة الغامضة ضاعت وتلاعبت
«بمنى» الشابة الرقيقة .. الشديدة الخوف على أسرتها الصغيرة
المنكوبة .. أسئلة تترجخ في أعماق «بمنى» ولا تجد الجسرة
لظهور الى عالم الواقع ولا يستطيع عقلها الصغير تفسيرها الا
لادانة أمها بالخيانة .. احساس قاتل بالخيرة والخيرة على أمها
والاشفاق على الأب المصدوع العاجز الذي يعبدها ..
أخيرا استجمعت شتات نفسها .. استعدادت شجاعتها المفقودة ...
وانتحلت خطر قرار في حياتها .. لماذا .. لاتضع حدا لهذا العبث ؟
لماذا لاتنتهي بنفسها شكوكها في سلوك أمها الطارىء .. وحتى تضع
الحدا الضامل لثبراتها .. وفي كلتا الحالتين ستجد الحل على
الأقل ستستريح من دوامة الشك القاتل الرهيب الذي تضيق معه
بلايين المرات عقب كل خروج لأمها .. تابعت «بمنى» الأحداث في
ذلك اليوم المسوم وكانت على اتم الاستعداد للخروج عقب خروج
أمها بعد تلك المعركة والمشادة المفتعلة بعسدها تندفع الام
خارج البيت كالعادة تندفع في اثارها «بمنى» بعد أن خلعت عن
نفسها ثوب التردد والضعف تاركة كل شيء فدأوا للحقيقة ..
لاشيء الآن من المشاعر يسكن في أعماقها سوى الشك القاتل ..
وما أبهى أن يهتك الانسان في اقرب الناس الى قلبه .. وما أقسى
أن تتدمر المنزل العليا وتنهار الكعبة المقدسة بعد حياة طويلة
من الاحترام والتقديس والايهان ...

تتابع <<منى>> خطوات أمها في حذر .. تقطع الشوارع المؤدومة
في أعقابها كل همها الآن إلا بهرب شبح الأم وسط أمواج البحر .. لا شيء
يهم في سبيل الحقيقة .. المعاناة تهون حينها في كهف الخطايا الكئيبة
المظلمة وأخيرا .. أخيرا وبعد طول عناء ومشقة .. دخلت الأم الى مكان
تذكره <<منى>> جيدا بل رأت كثيرا في الأحياء الشعبية .. بنفس
قديم أثري .. واضح أنه ليس بيت يملح للمعيشة الدائمة .. استوفت
الأمر في ذهنها المتزاحم بالشكوك والاستفسار وأيقنت سريعا أنه
ذلك المكان الذي يهاوى إليه القانون للاسترسال في فن الرسم ..
سريعا تذكرت اسمه <<إيتلية>> وبينما هي غارقة في تساؤلاتها عن
هذا المكان الذي دخلت إليه أمها حتى أفاق على منظر من أقسى
وأبشع وأهول ما تتخيله شابة في مثل عمرها .. كانت تصرخ .. تصيح من
قول المفاجأة التي كانت تدمر كيانها في لحظة .. لقد رأتها .. رأت
أمها في أحضانها .. وكزت بكل قوة نظرها على ذلك الذي اختطف أعز
أقرب الناس إليها بل الى عائلة بأكملها .. كادت المفاجأة
تسحقها حتى تسمرت قدمها .. تجهد جسدها .. هل علقها .. لم تعد تقوى
على الحركة أو على التفكير ثم التصرف في ذلك الموقف السداسي
بكرامتها .. وكرامة أحب الناس إليها .. كادت تصرخ ولكنها كتمت
وخفتها بداخل صدرها وأبتلعها .. دفنتها في أعماقها فتزلزل لها
بيانها .. وأدمت معها قلبها .. أعماقها .. هردت .. ظلت متجمدة
في حالة من الدهول ولم تلق الا على صوت الغلق الباب وهو يحسوى
داخله أبشع جريمة لأحد مخلوقين في الحياة ...

ارتدت <<منى>> في حالة يرثي لها إلى البيت الكئيب
 جابرة نفسها على أن تكون بحالة غير التي كانت عليها
 حتى لا يلاحظ أبوها المسكين حالتها .. وكيف لا .. وهي التي
 حتمها ولابد أن تحافظ على كيان هذا البيت المتصدع الذي
 على وشك الانهيار .. كيف تستطيع المسكين أن تحول ذلك
 الشعور بهرابة العالم في قلبها .. كيف تحوله وفي لحظة
 غير ذلك ولكنها في محاولة قاسية مريرة استطاعت أن
 تستبدل مشاعرها جابرة عذلات وجهها على الابتسام
 والمناقشة السريعة في السؤال عن صحة أبيها وحالته ..
 كلما عادت إلى البيت كالعادة .. شعرت خلالها أنها تنسج
 من ثقب أبرة لقد كانت إقسي لحظات عمرها وانتعش وأمر
 فترة مرت بها .. كادت تنهار في لحظة أمام أبيها ولكنها
 تدركت الأمر وحملورته سريعة .. انطلقت كالسهم من أمامه
 حتى لا يلاحظ ما هي به من معاناة وصراعات دخلت المسكين
 حجرتها .. ألقتها .. راحت في دوامة قاتلة .. غارقة
 بين أحزنها ودموعها تنعي وترثي لشرفها وأما .. تلطم
 خديها .. تضطج أسنانها حتى تتحطم أو تكاد فلم يسمعها
 قلبها في التصرف السريع .. استسلمت لليأس القاتل والطفل
 الذريع في التصرف السريع .. استسلمت لليأس القاتل ..
 ومن أين تجد الحل وهي الصغيرة المملوكة من أحب الناس

وأحسن الناس .. تاهت .. ضاعت وسط آلاف وآلاف الحطلول
 والتصرفات التي لا فائدة منها .. وكيف تجرؤ على مواجهة أمها
 بالحقيقة .. وبأى عين تجهر أمامها بها رات وما سمعت ..
 كلما اهتدت الى شيء رجعت وارتدت من حيث بدأت في شسورة
 جنونية صامتة .. وأما دمعها تورت لها عيناها .. فالتت
 على وضعها الكتيب هذا أيام مرت عليها كأنها الدهر وهي
 بين هالتين متناقضتين أمام العائلة في وضع تهتيل
 بالحياة العادية تارة .. لتنفرد بنفسها في حيرتها
 ليخترسها سرها الم هول الذي حرمت على ألا يلاحظه أحد حتى
 تهتدي الى الفضل الحلول .. وأخيرا لاحظت لها فكرة قد تكون
 غريبة كبيرة على نفسها .. ولكن رات في خيالها الضيق
 المحترق أن تغامر بنفسها .. تغامر بحياتها كي يستمر هذا
 البيت في مساره الطبيعي العادي لكم يحتاج هذا البيت وذلك
 لأب العاجز لأم بكل الطرق وشتى الوسائل محتما ولا بد أن
 تتواجد في بيتها رغبت أم لم ترغب ..

في صباح يوم مبكرا ارتدت <<منى>> أجمل وأخضر ثيابها
 وتزينت بانتقان وذوق حتى بدت كعروس في ليلة زفافها .. كملك
 في عرس السماء .. كملكة يوم تتويجها .. خرجت وفي مدراسها
 عكس مظهرها الخارجي الجميل

— صباح الخير .. أنا <<منى>> طالبة جامعة حضرت لسيادتكم

حتى اتعلم فن الرسم باتقان فهو هوايتي المفضلة وأريد
تتميتها ..

لم يهتلق بكلمة بل فتح فاهه في بلاءة وذهول .. ربما أعجبته
الى تلك الدرجة الواضحة عليه .. اجاب في هدوء متعلتتم
- اهلا .. اهلا .. اتفضل .. بس ميين قال لك انى ..

قاملعت في دلال والحاج
- سيادتك معروف وسمعتك في الرسم خاصة والفن عامة كالنار ..
ارجوك ارجوك لاترفضنى .

- بس انا مش لاضى .. انسا ..
قاملعت مرة ثانية في الحاج ودلع

- ارجوك يا استاذ انا مستعدة ادفع اى مبلغ .. طيب ياسيندى
اعتبرنى بهتخل موديل عندك وانا استفيد وانت تستفيد .. هيه
مش فكره برضه هرد قليلا .. لجاه برقت عيناه .. رجع حاجباه
علامة على الاقناع وهز راسه في هدوء

- والله فكره .. خلاص يا ستى انا مو افق .. بس تسمى كلامسى
- انا تحت امرك وكل ما تطلبه منى سأنفذه بالحق .. بس عندى
هرط رد في استنكار مملتع ...

احنا حنيتدى من دلوقت .. هرط ايه ؟

ردت عليه في سرعة خاطلة

- لا يا استاذ ده هرط صغير جدا .. أمل احنا من عائلة محافظة

ومش عاوزه اى مخلوق يراى هنا .. ولا بيعرف عنى حاجة
 .. خلاص بياستى انا موافق .. بس كده .. وضحك ضحكة ساخرة همت
 ان تتصرف .. لكنه قاملها فى الحاج وتودر
 .. ابيه انت بخيلة .. ولا ابيه .. وقت الفنان شمين لازم تهتدى
 من دلوقت انا مش فاضى بعد كده .. تشرى ابيه
 .. حاضر بيا استاد .. من فذلك اشرب شاي
 هب سريعا .. دخل مكان مظلم .. معلق .. بهتعد قليلا عندها
 وما ان انفردت <<منى>> بنفسها حتى رمت بنظرات فاحصة ..
 قاتلة .. تحمل كل الكراهية والحقد والحنق عليه كأنها تصب
 عليه لعناتها السامة متهمة له كل سوء .. لقد منه الشئ
 لا لشيء الا لأنها ارادت ان تعمل لنفسها الفرصة لتلعنه
 وتتفحمة فى همت مريب قاتل .. تفحمته جيدا .. فهو نعم وأن
 كان رجل وسيم .. أنيق .. قوى البنية .. كامل الرجولة وذلك
 واضح فى صوته العريض .. الرخيم .. وشعره الغزير .. وعينيه
 الواسعتان السوداويتان وسمرت الصافية .. وطوله المشوق ..
 كل ذلك لم يعط العذر لأنها ان تنزع فى غرامه .. فى كبرياء
 أبيها المكدوع العاجز .. لم يشفع عندها فى حرمانها السدى
 عاشت فيه سنواتها الثلاث .. وهى فى عزلة تامة عن الناس ..
 متفانية فى خدمة أبيها بل العائلة بأكملها .. كل ذلك لسم
 يشفع لئلا <<منى>> عندها راته <<وؤلف>> ..

تنهيت . تنهيت على موته القادم وهو يحمل كوب الشاي في يده

بلا أى حامل .. قائلا لها وهو يبتسم فى لهجة أمرة بمزاح ..

— <<منى>> هانم بعد كده لازم تعملى لنفسك كل حاجة هنا ..

أنا ماهى بنظام <<اخدم نفسك>> فاهوه

ودت متعلتمة فى محاولة لاختفاء دموعها لتستبدل عنها نظرة

الحزن والالم بالابتسامة المزيفة التى تضعها فوق شفתיها فى

اجبار وعذاب صامت حزين

رجعت <<منى>> الى البيت لتجد أمها على أهبة الاستعداد

للمعركة المزيفة التى تلتعلها أمها كالعادة .. رمتها

رمتها بنظرات ساخرة تحمل كل الاحتقار والتفوق .. وما أن

همت أن تهكولها أبيها كالعادة .. حتى قاطعتها فى هسدوء

ممطنج واسلوب ساخر

انت عارفة الطريقة .. مستنيه آيبه

همت الام خارجة .. تسب وتلعن العائلة وما فيها .. تنهيت

<<منى>> على اغلاق الباب خلف أمها فى مصيبة .. هزت راسها

فى لافباله << اذن بدأت المعركة بيا أمى .. وحتما سান্তصر ..

حتما .. فلا ولن اتراجع بهما كلغنى الامر من مشقة وبخحية

حتى آخر العمر كى تعودى . تعودى لهيبتك ورجلك العاجز الذى

يبعدك ولا هياه ليه بدونك >>

تنهيت على موت أبيها ينادى عليها كى يشكو لها مصيبة أمها

ولقد أنها صبرها كالعادة .. ردت عليه في ابتسامة مصطنعة ..
 .. أجبرت شفتيها عليها حتى اعتادتتها ..

.. أظن أني فحنتها أصي راحة .. حتى ستسعد .. ستسود
 وتطلب السماح والمغفرة فاعذرها فهي أيضا تعبت وكل شيء
 له نهاية وحدود أظن .. أظن لم يظن بها الأب المخذوع
 وما أن اعتله الدواء حتى راح في نوم ولحظة سريرة وبسبب
 منى كتفه وقبيلته في حنان بالغ وآسى حزبه فقد طعنه القدر
 مرتين في جسده وهزفيسه ...

وكانت تاشي زياره <<لمنى>> عند الاستاد <<رؤوف>> وقد
 تغيبت عنه متعمدة ذلك حتى ترى التأثير الذي كان واضحا
 عليه عندما استقبلها

— <<منى>> أنه منى أين أنت ؟ لقد تأخرت .. تأخرت .. كثيرا
 — أسفه سيدي لقد كنت متعبة .. مشغولة .. وأيضا لم نتفق
 على موعد الزيارة والدرس

— أذن سأحدد لك جدول الحصص .. ولابد أن تلتزمين بالمواعيد
 فانا انجليزي الطبع .. أحترم المواعيد جدا . فاهه <<منى>>
 هاهم

اعتبر ده امر .. لكنى لا أحب الاوامر

أعطوا سيدي الصغيرة فانا لا أجري على احد او الاوامر ولكنى

فقط أمزج معك .. أبه .. زعلت .. أسسك

باردا في ذلك اليوم حديثا طويلا فتح خلاله قلبه نهبا في

ملفولة ساذجة عرفت منه انه نشأ في الحياة بهتهم الأم وقد

ذاق الأمرين من زوجة أبه الذي كان يقصوا في حقه كثيرا .

مستسلما لأوامر زوجته القاسية الحادة الطبع .. همت

بالانصراف .. توصل اليها ان تبقى قليل .. شعرت <<منى>>

بان الصيد قد وقع في شباكها .. تأكدت من ذلك في ضلوعه

بهذه الباردة المتوسلة لها في البقاء قليلا

استاد <<رؤوف>> أرجوك اننا لاحب تلك المعاملة المعتادة

والنظرة الطامعة بين رجل وامراه .. لابد وان تبقى معنا

انت .. لابد ان تثق اننى انتهت اليك حبا في الفن .. والفن

فقط .. لالشيء آخر

قالت كلماتها هذه بكل الاصرار والتحدى . وقد جعلت كلماتها

كل الكراهية والحدود وقد صبته عليه بكل قسوة

أسف واعتذار بمرارة وندم قاتل منه

فأبت <<منى>> من <<رؤوف>> أكثر من أسبوعين متعمدة

بذلك الدلالة وقد بدا واضحا هذا في لغاتها .. عاتبها ..

واعتذر .. توصل وندم .. كل ذلك في كلمات متقطعة كاشها

البكاء .. الاذلال بعينه .. حتى طلب منها ان يرسم لها صورة

حتى ترافقه عن غيابها .. رفضت .. بشدة وعنف وقد كان لديها

العدا الكافي .. وهى الحريصة على الاتراها امها فتفقد

ما حرمتم على تخطيها في سرية شامة .. تكررت الزيارات وفي كل مرة يزداد شوقي <<رؤوف>> وبعده تزداد في الدلالة .. حتى صارحت ذات يوم أنها تعرف الكثير من سلوكه وعلاقته بالنساء .. استنكر ذلك باعراو منكرها كل علاقة بالنساء حتى واجهته ذات يوم بانها ترى وتعرف جيدا أمراة ذات أوصاف معينة .. وما أن واجهته بأوصاف أمها وذلك بكل دقة بالعلم حتى انهار تحت قدميها .. بكى ككافل فقد أمه .. اعترف لها بمحنة العلاقة في ذهول سمعته .. وفي صمت تركته بهترسل في الاعتراف .. وهو لا يدري انه بكل كلمة يعترف بها في من أمها .. سمعته وفي كل كلمة تدخل لا لادنيها بل لقلبها كالرماس القاتل حتى لم تعد تشتغل سماع المزيد .. صرخت فيه .. صرخته بكل قوتها الهزيلة صرخة فهم منها انها دليل الغيرة والمحبة .. لم يفهم حقيقة الموقف فقد كان الاخر ضحية .. صرخت .. بكى .. سقطت في شبه الماء .. ضحها التي بدورها محاولا امادة الوعي لها .. دلعت عنها .. حاولت ان تحت فيه الضمير .. تضيقه من خطيئته على يهتعد عن أمها

— ألم تعرف عنها شيء ؟ ألم تعرف انها زوجة .. ام ؟

مدقيني لا .. لا اعرف .. لا اعرف

... اذا اننا اعرفها جيدا واسمع منى قصة هذه السيدة الملعونة
.. انها زوجة لرجل عاجز .. فقد القدرة منى الحركة بسبب
عيبها .. وامرارها .. وعنادها .. واسيرة منكوبة من
مادها .. هي كل امثها .. كيف يملأوك ضميرك بعد كل ذلك
ان تستمر معها ..

رد فى الم واستنكار محاولا ان يدفع عنه تهمة بشعة كهذه
وومضة لا يهتمف بها امام <<مناء>>ى الغالبية

... لا يمانى اننا صحيح كنت محتاج لعلاقة حب من هذا النوع
.. ولكن بعدك بعد اول زياره منك شعرت بشيء آخر مختلف ..
وقبل ان اعرف حقيقة هذه السيدة قررت ان الغيبه من حياتي
.. لانك بك ولك .. أنت شيء آخر مختلف وقد شعرت بعك
غريب لم الحظه .. لم لاعرفه من قبل فكيف .. كيف استمر
معا بعدك ؟ كيف .. ؟ خاصة بعد ان عرفت حقيقة ظروفها ..
وهنا لاحت امامها بارقة الامل المنشود .. والشعاع الماسى
الذى طالما سعت لتحقيقه .. ابتمت فى فرحة وسداجة الاطفال
... <<وقوف>> يعنى صحيح ستقطع علاقتك بها .. خلاص .. توعدنى
.. ماهو اننا يانا يا هي .. لك ان تختار

رد بسر عينيها فى لفة وسرعة خاطفة

... لا <<بمانى>> لا تقارنى نفسك بها .. بامراه ساقطة ... بمانى
بامت ضميرها وحياتها الكريمة من اجل شهوتها وهبابها ...
هنا تنبهت <<منى>> فى ذهول كانها تلقت طعنة على غفلة ..

صرحت به فلم يهناومها قلبها أن تسمع على أمها هذه الصفات
الظاهرة .. تالمت في صفت حزين دافسي ...

لا .. لا .. <<رؤوي>> لا تكسو عليها .. لا تظلمها إلى هذا الحد
لا بد وأن تكون قد قاومت وتحملت وتحملت الكثير .. فهي لا بد
وأن تكون لديها الف عذر فالصبرمان هي فظيهر

- <<منى>> حبيبتي دميها منها .. وأمدك في الزيادة القادمة
ستكون قد خرجت من حياتي وإلى الأبد .. هي حقا تحبني كثيرا
ومنى عاري أقول لها أبه ولكن حتما سوف أواجهها بحقيقتها
وأحاول أن أحيي ضميرها .. فربما يستيقظ وتعود لوعيتها
ورحمتها فزوجها العاجز وأولادها حتما أولى مني بقلبها ..

وهنا .. هنا فقط كادت <<منى>> أن تسجد على الأرض لتشكر
الله على نجاح حملتها .. تنبئت في آخر لحظة لوجود <<رؤوي>>
وهي التي كانت خريجة على السرية والكتمان .. نظمت له
نظرات عميقة كلها شكر وامتنان وتقدير واحترام على تركه
لأمها لها .. ببالاسف لم يهضم شيئا .. بل فسر كل ذلك بأنه
الحب وكل الحنان منها له ... ففعل على يدها بين يديه فسي
حنان هودت بعيدة منظره بسعادتها الأكيدة .. تركت نفسها
بين زواجره لا تريد أن تنفي من سعادتها بعودة أمها ، احتضنها
.. قلبها بكل الحب واكتنازه طوال شهرين ماضية لم يلمسها
لمسة واحدة .. وتذوقت المسكينة أول قبلة حسب ذاتها

هفتاها .. بل لمست قلبها الأخضر الصغير الذي لم يتذوق طعم
 الحب أبدا .. لم تقاوم .. فلم تستطع أن تقاوم نهبت فرحتها
 هي السبب .. ليست سعادتها بانتصارها هي السبب الأول
 والحقيقي .. للأسف شعور آخر .. احساسين مختلفين وقد انتشيت
 وتنهبت بداخلها فجأة لتلمس بل تستقر في أعماق .. أعماق
 جزور قلبها .. كيانها .. ضلوعها .. طالت قبلتها الأولى وهي
 مسترسلة هائبة .. صامدة .. تنهبت .. انتفضت .. عروشت ..
 بكت كمن لم تنك من قبل .. حاول الاعتزاز واعدا ايها ها
 بالانتكس الأبعد الزواج .. عرخت فيه في لوعة والم وعذاب
 بهتفاعك عما ذي قبل وتنهبت .. بل تنبه الاثنان على صوت
 حملوات طالما عرفت لها خافته .. نهبت <<مضى>> سريعا لتختبئ
 وقد أهتزت الأرض تحت قدميها .. فقد أيقنت ذلك الصوت فهو
 حقا موت أمها القادمة وقد ارتجت بكل قوتها وبكامل جسدها
 في احضان <<رؤوف>> وقد راته بعينيها وهو يدفعها عنه في
 تنزز واحتقار وقد واجهها بكل الحقائق عن حياتها .. وقد
 أعلنت بين جموعها حبها الجارف له وانها ستطلب الحلال
 وستبيع العالم حتى تظل بجانبه وتتزوجه اذا اراد وفي كل
 عروضا .. امرت على بقائها في دفعها معلنا نهاية العلاقة
 ونهاية بعد علمه بظروفها .. حاول أن يخليها من سكرتها

ولكنها أصرت متمسكة به وبحبه مدى الحياة .. ففعلته .. فلعبها .. هددته بالقتل .. لم يهتم .. فلعبها أمامه محثا أبهاها على البقاء بجانب زوجها العاجز وأولادها المساكين .. خرجت بعد شهادة وعصية جنونية كادت تفقد عقلها وما أن أطمئن لخروجها تماما حتى عاد الى <<منى>> فوجدها غارقة في دموعها .. حالتها سيئة .. كلما حاول لمسها لطفته في تقزز .. تعجب لحالتها .. طلب منها أن تقول أي شيء .. أي أمنية .. حتى لو طلبت أن يبيع العالم ليسجد تحت قدميها .. بالظن أنهار أمامها لأول مرة ثرى <<ننى>> دموع الرجال مما زادها مذابا فوق عذابها ...

انصرفت <<منى>> واعدة أبياء أن تعود اليه عندما تتحسن حالتها .. رجعت المسكينة لبيتها لثرى أمها هاربة .. حزينة .. هاردة وفي كل يوم يمر كانت حالتها تزداد سوءا فتسعد لذلك وتتيقن أن <<رؤوف>> مازال على وعده لها .. ليسزداد حبها ويتأمل ويتعمق أكثر وأكثر .. لكنها تنبذت الى أنها تقع فريسة للوهم والمستحيل .. فكيف تستمر وتستسلم لحب محرم .. حب مستحيل .. حب لا يمكن أن يرى النور لقد نسيت قبل أن تسلم قلبها <<لرؤف>> أنها تقامر به في لعبة كاسرة .. فحتما ولابد أن تنشق مدرها بالظواهر لتؤد أول جنين للحب في قلبها وقد كبر وملا حياتها .. كل كيانها .. أين كان العقل منها حينما سلمت <<رؤوف>> القلب كاملا .. أصرت على وضع

لحبها المحكوم عليه بالفشل بل الاعداء .. فابت **<<منى>>**
 وطالت غيبتها عن **<<رؤوف>>** وفي كل مرة ترى فيها أمها
 منهارا .. هاربة .. تتفقد عليها ولأول مرة تثتمس لها
 الاعزاز ولها لا وهي التي هربت من نفس الكاس التي هربت
 منه أمها المسكينة ..

مسكينة بها أمها كان الله في عونك فمسيبتك أكبر وأمر ..
 أما أنا **<<رؤوف>>** قلنا الله ..

ذات يوم حضر **<<رؤوف>>** لها في الكلية .. راته .. كادت
 المكشاة أن تسقطها لقد انقلب قلبها من بين ظروفتها ..
 رات أنه هو **<<رؤوف>>** ولكن المظهر مختلف عما تعودت أن
 تراه عليه .. انطلقت لصيته في أهوال .. هاجب اللون ..
 ألح عليها في الحضور .. لم يتركها الأبعد أن وعده
 بالحضور سريعا فور انصرافه .. خفيت **<<منى>>** أن يصادف
 الكرة فينفضح أمام الزملاء لكنها في الحقيقة انساقت وراء
 نداء قلبها .. افتعلت الحجج كي تنفرد به .. تسلمه
 ويسمها .. تراه ولو لأخر مرة .. تحاول اقناعه بالنسيان
 يذهب كل في طريق .. ذهبت إليه في خطوات طفيفة .. منهارا
 ماما .. دخلت عليه وما أن رآها التقطها بين ذراعيه
 بكى على صدرها بدموع ونحيب شديدا شعرت أن دموعه تصبغ

جسدها لتستقر بأعماق قلبها .. تختلط بدمائها .. اختلطت
الدموع وما أفسى أن تختلط الدموع .. قبل أن تهم فلتأهبا
على النطق بكلمات الفراق ألح عليها في استفسار البهل حسن
فيها بها طوال هذه المدة .. طرق الباب طرقات طالما عرجها
الاثنان .. همت <<منى>> لتختبئ .. دخلت أمها .. ألقت بجسدها
تحت قدمي <<رؤوف>> تقبل ساقيه متوسطة اليه أن يعود
كعبدتها .. دفنها في حيف حديد طعنها بكل قوته .. فهي إذا
السبب في غضب معشوقته الغالية .. في مصيبة جنونية هددته
بأنه لا حياة له بدونها ولا حياة لها بدونه الآن الموت .. الموت
هو نهايتنا .. سأقتلك يارؤوف وسأقتل نفسي بعدك في لحظة
حاملة أمسكت بحقيبة يدها .. أخرجت منها مسدسا وما أن
همت أن تصوب نحوه .. انطلق تجاهها كالسهم محاولا إجبارها
على ترك المسدس من يدها التي استماتت في التمسك به ..
أخرجت وصامة طائفة لتستقر في صدرها .. سقطت لارقة في بركة
من الدماء وقد فارقت الحياة .. أخرجت <<منى>> من مخبأها في
حالة رعب منطلق بكل قوتها تجاه الباب .. تفر قاربة قبل
أن يفتضح أمرها ..

تم القبض على <<رؤوف>> متبها بقتلها .. وللهمز الثانية
دخلت <<منى>> المسكينة في دواية قاتلة ولكنها هذه المرة
تحمل أكثر من تخفية .. فالماساة عظيمة قاسية ..

الضحايا منهم المتهم والبريء .. وببيدها .. بيدها هي فقط
اعلان الحقيقة البشعة التي وان انبتت من بين شفتيها
ستسحق عائلة بأكملها وسيزداد عدد الضحايا الأبرياء ..
وتخسر كل شيء .. وأي شيء .. نفس الشيء الذي حاربت من
أجله .. وغامرت وقامرت من أجله

الضحايا كثيرون .. والدتها .. والدها .. اخوتها ..
قلبها .. صبيها فمن أين تجد الشجاعة لمواجهة الحقيقة
واعلانها .. وقعت المسكينة في شباك اخطبوطية تسيجها خيوط
من الحقيقة والانانية .. المدق والكلاب .. المراجعة والتفاني
واخيرا اخيرا تقطعت كل الخيوط ليبقى خيط واحد أبدي
دائم وهي تتجه نحو النياحة لتدلى بأقوالها .!!!!

انهم يتسولون السعادة

لا أدري لماذا هدتني حالته .. وجل وقور .. ناضج وزين

لمحتته يجلس بعيدا وحيدا يدخن سيجارته في هدوء يشرق مع
دخانها الأبيض السامع في الهواء كأنه يهيم ويهيم بسين
أمواج ذلك الخان الأبيض الكثيف الذي ينظر من أنفه تارة
ومن فمه تارة أخرى

تأملته في بادئ الأمر في لامبالاة .. تفحصته قليلا ، وقد
انصرفته عنه لمتابعة الحفل الساهر الذي كنت معوه اليه
تلك الليلة .. تخلصت من معية بعض الأصدقاء والزملاء
المهرجين أو الماجنين .. ذهبت لأبحث عنه في أركان الصالة
الواسعة المكتظة بالمدعوين .. لم أجده ، رفرت ضيق أنفاسي
.. فكم سدتنى نظراته الصامتة الحزينة التي أبدا لم يكن
لها أي معنى لتوجود وسط هذا الحفل وفي تلك المناسبة ،
لقد كان الجميع وفي كل الأعمار من الجنسين ينطلق في لهو
ومرح .. لا وقت الآن ولا مكان للأحزان .. فكل ينسى أحزانه
والجميع في ضحك وفزع ومرح ، فهم ياكلون بلا شهية ..
يضحكون بلا سبب يلهون بلا داع كل منهم ينسى أو يحاول أن
ينسى همه ... يهرب من أحزانه ما عداي أنا وهو لذلك هدتني
حالته وعقدت العزم على البحث عنه والتعرف عليه بأسبلة
وسيلة وأقولها بصدق ومراحة هذه لأول مرة أشعر فيها أنني
والعفة في تجارب أطراف الحديث معه فكيف الآن استطيع

التقرب اليه .. أدنو له .. اعثر عليه بين هذه الكتل البشرية
 الصاخبة .. تألفت كثيرا من فضول الزملاء وبعض المدقاء ومن
 ملارديتي باسئلتهم المتكررة ونظراتهم المتطفلة
 وبهمنا أنا في محاولة للهروب من جوهم الذي كان بالفعل
 يروقني ولا يلائمني .. خرجت الى إحدى الشرفات شبه المظلمة
 لادخن سيجارتي وحيدة وقبل أن أمد يدي في حقبيتي للبحث عن
 لها التظاب وجدت بدا تمتد نحوي بعود تظاب مشتعل وقبل أن
 أميل براسي لأشعل السيجارة لمحت عينيه تلك الصامتتين
 الحزينتين وذلك الرجل الشامخ الوقور .. كنت أن أصرع من
 فرط سعادتي للعثور عليه .. انه هو الذي ابحت عنه بين الكتل
 البشرية في ذلك الحفل وربما شغلت به من اشغال السيجارة من
 تظاب .. ظل تمتد اليد بعود التظاب المشتعل وربما لم يشعر
 قرب الذهب من اصابعه حتى كادت ان تحترق فالتفتي بالذهب
 بعيدا .. ادركت انه سيلعنني او يتور على ولكني ابتسم
 بتسامية لاتعلن من شيء واعاد يشعل لي عود آخر ولا زالت
 بتسامية الخاملة التي ما فهمت منها معنى لها بل تظلماتها
 ومرارة وبرودة كالبرق الخاطف في ليالي الشتاء القارس ..
 اطلعت التظاب سريرا ودست سيجارتي في الحقبيته حتى
 لا تشغلي عن الحديث معه وكم كان بداخلي الحاح غريب ورغبة
 جامحة في التعرف على ذلك الهرم الشامخ الصامت .. سريريا

نمطت حتى لا أصبح الوقت .

— فريدة .. أنا اسمي فريدة وانت ؟

— نساد

في تعجب ودهشة وددت .. كورت علوا سيدي .. أنا أقصد اسمك ولا شيء آخر يعني الندرة ابتسم نصف ابتسامة .. ضحك أسنائه في لحظه .. ربما غباشي وعدم قدرتي على فهم سريري ورد في هدوء لينطلق مرة أخرى نفس الكلمة السابقة نطقها ..

ياهانم .. أنا ؟ لا أقصد شيئاً يعني الندرة بل أنا اسمي هكذا نادر .. نادر حلمي ! هل عندك اعتراض على اسمي هكذا لمضحك ساخرة من غباشي لعدم ادراكي له ، وضحك هو ضحكة لا تعني أي شيء ... أشار بيده

علوا سيدي .. لم يحدث شيء وبدأت اقترب منه في حذر ، لقد أدركت أنه منطوق مفهوم من النوع المثلث وقد كان واضحاً عليه عدم رغبة في التعرّف مع أحد .. لم تكن له رغبة في شيء أي شيء حتى في القدرة على الكلام .. ساعتهما أدركت صعوبة موقفى ومهمتى في أن اجتذب الكلمات من بين شفتيه حتى خيل إلى أنني أشدها هدا من فمه الرقيق ، ولست أدري لماذا خيل إلى في لحظة أن فمه قد انكمش من طول صمته وعدم رغبته في الكلام وانملوا الحزين على هم دفين .

هم بالانصراف .. تبعته في لحظة ؛ وبسرعة ناديت عليه

بصوت ملح أن ينتظر ...

توقف لحظة بعد تردد تقيل وفي تأفف بدأ علي ملامحه ..

استدار ناحيتي .. شعرت بارتباك شديد وخجل هائل ؛ حيث

من المعتاد والمعروف أن الرجال هم الذين يطاردون حواء ؛

وما علي حواء إلا الدلال والتمني ؛ والذي أراه يحدث الآن هو

العكس تماما

بهالة من منطلق معكوس وانقلاب في طبيعة الحياة البشرية ؛

ولاول مرة أشعر هناك رجلا لا بهالي بي ؛ ولا يهتتم بهالي

ومظهرى الذي طالما قد انتباه كل الرجال بلا استثناء كل

ذلك جعلني امر علي انتباه بل مطاردته ؛ أبيع عليه في

البقاء معي بأية وسيلة وبأي حجة ولو زاهية ... في لحظة

خاطلة طلبت منه أن يشعل لي سيجارة .. استدار ؛ وقد أنهرت

في البحث عن الكبريت بجيبه ؛ وبع خترة وفي لامبالاة أيضا

أشعل لي سيجارتي ؛ وقبل أن يهجم بالسرووب من حديتي طلبت

منه أن يشاركني التدخين ؛ لقد هممت سريعا أن أقدم لها

لبنة سجايري ؛ وفي بدء شديد وتردد ؛ وبعد الحاح مني عليه

التفكك سيجارة من عتيقي وشكرني بصوت خافت لم تسعفني أنس

في الانتقام كلمات التي تهتم بها .. استوضحت الأمر وسألته

ماذا يقول ؟ وفي تعجب وتأفف أعاد كلمات التفكير بصوت أعلى

من الكلمات السابقة .. ابتهت .. دعوتك لتناول مشروب
متنع أو أي شيء من الحلوى ؛ وإيضاً في مثل منى وشجر
رفض .. الحث عليه أن يشاركني الشراب .. انطلق من أمامي
كأنهم ؛ لم يهمل بكلمة .. ذهب عنى ليكتفى بين الحاضرين
.. تابعته بنظرات فضولية ؛ وقد غاب عن عيني .. لقدت الأمل
في العثور عليه والبحث معه .. شعرت ساعتها بخيبة أمل
هديدة .. في غيظ وصمت أخذت أشعل السجارة تلو الأخرى في
جر ومثل وقد عذمت على الانصراف بعد الانتهاء من التدخين
وبينها أنا أجمع أشياشي المبعثرة في حقيبتي بيدي نهضت
هاردة متناقلة ؛ وجدت أمامي على حافة الكرسي مذن ملوؤ
بالحلوى وبجانبه كأس .. تعجبت ولم يهمل تعجبي .. رفعت
رأس .. رأيته .. دهشت .. تلعتمت في فرحة طفولية ساذجة
كدت معها أفزع .. لم أدر ساعتها بنفسى إلا وأنا أناديه
باسمة بلا القاب ..

نادر .. نادر .. متى ممكن .. أنا فكرت أنك .. قطع مقاطع
كلماتي وهو ينظر إلى الكاس التي بيده - أنا؟ بالفعل كنت
أدري الانصراف لكن شعرت أنني في حاجة الرق أهرب شيئاً فلم
أجد هذا من هذا المكان ؛ ولا أدري لماذا تذكرت كلماتك
وأحضرت لك مطلوبك حتى نتكاسم .. التفتت الكاس التي بيده
ثم هكرته بكل حرارة وهنا بدأت التقط أول خيط من خيوط

الحديث التي طالما ترددت بها أبداً حديثي معه فسارعت
بالسؤال عن سر نظراته الحزينة وعنته الوهيب . . صمست
قليلاً وقد بدا على قسماث وجهه كل المرارة والألم . . ضغط
أسنانه في فميط كأنه يهضج كل مرارة العالم ثم يبلعها في
مضغ وأس . . رد بعد صمت قائلاً : سيدتي تلك قمة طويلاً
لا أريد الخوض فيها لأنها تؤلمني . . تؤرقني . .

— سيدى النادر : لماذا الصمت ؟ لماذا الأحران ؟ الحبيب
ستمر بخلوها ومرها ، بطولها وبعرضها . . فلماذا لا تستمتع
بخلوها وتجعل مرها وراء ظهرك ؟

قاملعتنى وكأنه يريد أن يخرسنى ، وفى لهجة أميرة .
— أرجوك يا أنسة . . كلنى فلسفة . . كلنى ابتذالا . . صمت بوقت
مبيناه . . فتحت فاهى كالبليها ونطقت بكلماته أوددها فى
لا وعى

— فلسفة ! ابتذال !

فى شبه شبه مرخات مكتومة مكتومة . .

— نعم : أنت منازلت صغيرة لم تدركى معنى الألم ولم تعرفى
ما هى الأحران . . لم تتذوقى ما المرض والعذاب والأحراق
ثم صمت ووضع رأسه بين يديه وقد لمحت فى عينيها الواستعتين
الحزبيتين عبرة تفرقت من حدقتين كانتا متحجرتين على
ما يبدو . . .

امسكت بيده الباردة المرتعدة وفي ذهنة لم انطلق بكلمة

لم ادر لماذا لم يسعفني لسانى بنطق آية كلمة ؟

استدار كأنها يوربد أن يخفى عنى أحزانه أو ربما دموعه - هم

أن ينطلق أو ينصرف فلم ادر الا وانا اتمسك به بيدييه

الباردتين .. استدار عنى ... الصحت عليه أن يهتفى .. تستسكت

بيدييه استدار نحوى وهو يهتف بيديه من يدي ولم ادر الاوعيناه

متعلقة بعيني وتلاقت نظراتنا لشوان شعرت أنها سنون .. ارتعد

جسدى .. اهتز كبانى .. بياله من هرم شامخ وعملق عظيم ..

صدر بارح .. استحكمت بكل بكل لال أن يجلس ولو دقائق ..

د .. دد كلماتى ...

- تستحلفينى بكل لال . لم يهتفى لى لال فكل لال لى انتهى

ماذا تعنى بكلمة أنتهى ؟

- أنتهى يعنى مات واندر

- الموت حقيقة الحقيقة المؤكدة فى الحياة هى الموت

- نعم الموت حقيقة والفران أيضا حقيقة .. الخيانة

أيضا حقيقة

سعدتى : باختصار لاأريد أنا انسان مشغوم محزون كتهت على

الوحدة لهما صرنى الالم وتمزقنى الأحزان .. أحببت أبى ومات

.. أحببت أمى فتزوجت فور موت أبى .. أحببت زميلة لى

فتزوجت بغيرى ، أحببت أخرى فهاجرت .. تزوجت أخرى فخاننتنى

.. نريد الزواج بهذين هما لمساتنا وساتنا لأن بعد ذلك ليس
الحياة ؟ ماذا يجهل أن أسير في الحياة مبهمة مبهمة
.. لقد دخلت الحياة عنوة عنى وسأخرج منها مفسر المبهمة
لا قريب ولا حبيب ولا ولد ولا بنت ولا زوجة ولا حتى عشيقا ..
قامت قبل أن يكمل كلماته . لماذا لم تقبل لاصديق .. وليس
لك أصدقاء ؟ المبيت المداقة كذا كنهنا وبها يفرحك حسن
كل ماتحتنا الله من .. قامت في لوحة ساهرة

— من ماذا ؟ من ماذا بهذين المبهمة ..

— أنت متشائم لطيفة حتى الله لا تتعرف بها .. لقد فقدت
أيمانك بكل شيء ، وإن فقدت الأيمان بكل شيء ، وإن فقدت
الأيمان بكل شيء فليس الاقل لا تفقد بآلهة فرحة الله واسعة
— هم أن يصرخ وقد أدركت ساعتها أنه قريب الكبر بآله ..
مررت فيه مرة أياه أن يرجع إلى وعيه وتذكر الله ويستمع
أيمانه ولا يفكر بفرحة الله .. فاهل الصرخة بفرحة منه ثم
أهبطت نزل إلى وقد أنتصره حتى مدت ذراع من نورنا لأنهم وتحت
انحامي لا يتابع الهى فلم يكن الهى بآلهة الذى بهتويه صوره
من ألم .. صرخ يسي

— أنت لم تتذوق الوحدة .. الحياة .. الخراف .. والسم
والمثل .. الوحدة بآلهة شيء فطير قاسي بهتوته ولم
أشعر بفرحة من عرفت بكل شيء .

.. أنا ؟ .. أنا بياسيدي لم أتذوق الوحدة ؟ من قال ذلك ؟
ومن قال أنتى أنسة ؟ أنا بياسيدي سيدة . زوجة . هابة ربها
جميلة وبها .. ولكن الحقيقة المؤكدة أنتى لا أعرف عن
التفاهم فى الحياة الزوجية شيئا ولم أشعر بطعم السعادة
مطلقا .. أنتى احيا حياة مرعبة عليها .. فزوجى انسان
خائن همجى يقضى كل ليله فى احضان الساقطات .. وعزمت امرى
على الانفصال عنه بعد ثلث عير ومعاناة وبعد محاولات بائسة
فى اصلاحه وربطه بهيئته وأولاده وباءت كل محاولاتي بالفشل
وبعد قرار الانفصال الذى اتخذته بصعوبة بالغة وتردد هائل
كم كان يخيفنى تعبير <<معلقة>> ولاسيما فى مجتمعنا هذا ..
كنت أتلقى الفحرة ومرة بعد قرار الانفصال .. كنت احبه ..
حاولت اصلاحه .. صبرت على مفض وبعد قرار الانفصال وقد باع
كل ما يملك على القمار والنساء والشراب وقع فريسة لمرض
راسيب بقتل كامل .. أصبح جريح الجدران وذلك الكورسى
الحديدى المتحرك .. عدت اليه ليس حبا فيه بل عطفيا عليه
وذلك من واحد كزوجة أميلة وكانسانة خرجت الى العمل
لاستطيع الانفاق ليس على نفس فقط بل على نفس وعلى علاجه
أيضا . كل ذلك وأنا راضية قانعة صابرة
حتمت كلماتى وسط تهيج متهزج ودموع سافرة سخية

خير السكون علينا ثم نطلق نادر في دهشة : أليس عجيبا

أن نلتقي منذ قليل غرباء ثم نصبح .. سكنت بيدها قلقت :

— ولم العجب ؟ أن النفوس اقرب ما تكون التقاء وتعارفا أن
سرهما أن تتحرك بأسرع من تازمان والمكان من الأيام والشهور
والمسافات :

— أليس منذ لحظات كان شعورك غير ذلك .. كنت تتألف مني ؛
تكره وجودي والكلم معي والآن أصبحت تجلس بجانبى وأكثر من
لك تتعامل معي .. أرايت أنك أكثر منى حربة وانطلاقا فسي
الحياة على الأقل حياتك ملك لك تفعل ما تشاء بنفسك وبجانتك
أما أنا فلا <<مكره أخاك لا يمل>>

سيدي ليس بيدي أن أصبح عمرى هباء

ود نادر على كلماتى في استفسار وماذا بعد ؟

— لا أدري ماذا سيكون بعد .. هل كنت تعرف أننا سنلتقى ؟ أن

هذا لا أنا ولا أنت نعرفه ولكن لابد لنا أن نعرفه

— لماذا ؟ .. تريد أن تعرفه ؟ وماذا تريد أن تعرف ؟

أنا ذاهبة في طريقى الذى أعرفه وتعودت عليه فرد فى لهفسا

وبلا وعى : وأنا ماذا أصنع ؟

قلقت له فى دهشة وشبهه ذهول : أصنع ما كنت تتوى منه

— من غيرك !! لا لا

— ما أنا إلا عابرة طريق

— ولكنك أنرت لي الطريق

واخسست يدي الأسي في نبرات موته فبادرت في دهشة

— ولكن لقاءنا لم يطل وحديثنا لم يتجاوز الساعة

ود في أسي وليلة ورجلة هزت أوصاله : —

— سيدتي : من الحديث مالا يطول ولكنه يحفر في النفس

خندقا عميقا ومن اللقاء مالا يتجاوز الدقائق ولكنه

يتجاوز الأعمار بل الزمان والمكان .. هل تسهي لي سيدتي

برؤياك مرة أخرى ، وأرجو ألا تسهي الغم أو الظن ..

هل يمكن أن أعرف عنوان تليفونك .. اسمك بالكامل ..

— وماذا يفيد الاسم والرسم والعنوان ؟ لاهي

— يفيد في حالتني هذه .. لقد تقاربنا دون أن تعرفني مني

ودون أن أعرف منك شيئا

— من الأفضل ألا أعرف وألا تعرف .. قلت لك أنني ماهرة طريق

— لماذا لا يتفق الطريقان ؟

— لأنهما مختلفان قبل أن أراك وتراني

واعترف لك قبل الخراق أنني التي طاردتك أولا وتعمدت

استراق حديثك لقد دفعني فضولي أن أفك سر غموضك وملاسم

صمت نظراتك الحزينة فلاحقتك زبها لأنني أنا الأخرى شعرت

بالوحدة مثلك تماما لقد تلاقت الأرواح قبل الأجساد

وانصهرت في بوتقة الوحدة .. فكل منا على طريق ولابد أن

يكمل الطريق .

هممت بالانصراف ولكن هذه المرة هو الذى تعلق بي ..
 بيدي يستحلفني ان ابقي ولو دقائق فرغضت
 ارح على . استحلفني بكل حال ان امدد بملغاء آخر .. فرغضت
 فليس من حق متبيلاتى ان يبعد احد بملغاء ..
 وعدنى بملهارة العلاقة ونيل العداقة .. فرغضت فليس هناك
 عداقة بين رجل وامرأة ، خاصة فى مثل ظروفى ..
 ابتسمت وسط دموعى ليشهد على يدي فى اعزاز و الألم وقلت
 بموت يخنقه الألم وتعتصره الدموع :
 عم مساء بيا مدينى فلا بد ان اعود فهناك مريض ينتظر ميعاد

البيدواء .

÷÷*÷*÷*÷*÷*÷*

÷÷*÷*÷*÷*÷*

÷÷*÷*

كافيياري وقتات

بهيئتها كنت جالسة في السهر الفاخر لأحدى الفتيات
 الكبيرة .. أتأمل كعادتي وجوه الجالسين المدهوشين لسذاجة
 الحفل الرائع فقد كانت مدينتي آمال تحتفل بعيد هبيلاد
 وحيدها الطفلة الرقيقة <<صافيا>> .. كل من المدهوشين
 يرتدى أضر الثياب .. كل يتأبط ذراع زوجته .. وبها ضلبيته
 وبها مدينته وبها .. الجميع يلحون .. الضحك عاليه ...
 الأحاديث بلا معنى .. النظرات جامدة .. كل يبتسون بلسون
 الرباء الزائفة .. فقد رأيت بعيني نظرات الحاضرين
 الحاقدة وكلماتهم الساخرة المتشككة وتعليقاتهم اللاذعة
 على أصحاب تلك الدعوة كل يتهكم على جنون الأبوين ...
 لأسألهم وبذخهم بلا داع .. كل يثوي شفتيه يستنكر ذلك
 التصرف .. يستنكر عليهم ثرائهم .. يتساءل في دهشة عن
 مصدر هذا المال الوفير والهدى الكثير .. وما هي دقائق
 لم تتجاوز الساعة حتى سمعت تصفيق حاد وضحكات عالية
 وبعيني رأيتهم يتبدلون من حال إلى حال .. فقد انقلب
 الحال في ثوان فكل يتسابق حول الطفلة الرائعة الجمال
 الطاهرة الثياب أدركت وصول صافيا .. رأيتها بهيئتها وهي
 تتكلم من أيدي المدهوشين وكل يحاول التقاطها ويبتساق
 لتلمسها كل ذلك في رياء مصلح وقبلات باردة .. ومجاهلات
 زائفة تتنادى الطفلة بينهم .. تسهر معلقة في تعال كالطاووس

وسعد ضعاف الظهور .. كالأميرة بين الخدم والحشم تنظر في
تقزز شعير ترميها ثيابها الفاخرة وتعرفها المصطف بانتقسان
تجلس .. كل بيت سابق حولها ليفوز بالانتقاء الصور معها ..
وبقدم الهدايا الفاخرة لها .. قدمت متناقلة فقد راعني
منظر ثلثون مهاجر الحاضرين وطرقهم الملتوية في الاستحواذ
على انتهاء اصحاب الحفل .. قدمت لها هديتي المتواضعة
قبلتها .. وانصرفت من امامها سريعا عدت لمكاني فوجدته
قد احتله احد المدعوين ثقيلي الظل .. وباستخفاف تهريجي
مفوز اراد مداعبتي .. لم اهتم انصرفت لأبحث لي عن مكان
اخر وفي مكان هادي بعيدا عن ضجيج القاعة ومخيلها .. لم
اجد الفل من الحديقة الملحقة بالفندق .. تحولت قسرا بها
والخبر اهنوعة وجدت مكانا بعيدا في اخر الحديقة جلست
اتنفس الصعداء لقد كنت اختلف من جو القاعة الضائق
المعلم بنظرات الحقد وكلمات البرياء والمهاجر الملتوية
الملون الضائق .. وبينما وانا شاردة وقد مللت الانتظار
اعد الدقات بل الثوان حتى يحين الوقت الملائم للانصراف
سمعت اهواتا خافتة خلف السور المجاور لي .. انتبهت على
مصدر الصوت الخافت الهامس .. راعني ففكرت ان اتابع
مصدر الصوت حاولت استقراي اطراف الحديث ومتابعته بهاتف
تبينت ندا انه يبعث من اطلال صغار .. فقد كانوا ملطمين

وما هي الا شوان حتى رأيتهم فقد اعتلى الاول ظهر الآخر
ليقلز فوق السور وما هي الا شوان اخرى حتى رأيت الآخر وقد
رأيت على وجوههم دهشة ولزع .. من هول ما راو .. حديث سريبع
دار ساببينهم نظرات خوف واعجاب :

شايك باولنه ابيه ده .. دول ناس ازبيننا

يبرد الثاني في دهشة بالغة :

مستحيل ... بيا شوي لابسين ابيه !!!

وبعد قليل سمعت صوت استغاثة والناح لم ار صاحبة الصوت
ولكنني ادركت انه صوت طفلة صغيرة تستأبث تستحسبهم بسان
يتناولونها فوق السور لتري مالا تراهم مثلهم .. لم يلتفت لها
أحد منهم بل ظلوا يمدوهم بهاخذهم هول بايرون من فاخر
التحباب وبداخ الامعاء فلل صوت المسكينة وهي تستأبثهم ليس
استغاثة وانما حتى اضلرت الى المصراع لتتشم على حبلها
مثلهم .. تنبه احدهم لعنبا قلز ثرا من فوق السور فوفا ان
يسمعها احد فيبصردهم ... سمعتها وهي تنبكي تصرخ صرخات مكتومة
مكتومة تستحسبهم وهم يبركسها ويهملونها علم: هي خائفتها حتى لم
يوجد بدا لاسكاتها وكتم صرخاتها التي فلست تتعالى على حبلها في
نفسها فوق السور ... اخيرا رأيتها بعد ان اعتلت ظهر اخيها
رأيت وجهها الملائكي المستدير .. طفلة في سنها السابعة
مهاينة التحباب متسعة الوجه والتحباب والهدبين وقد أدركت

أنها لم تغسل منذ الولادة شعورها الأضر الأشعث ببهدل علسي
 كتفها الرقيقتين تسمع عينيها من أثر الدموع حتى تنفخ
 الصورة أمام عينيها الملحنتين في اختراق ذلك المنظر
 الرائع الذي أمامها .. برقت عيناها فرست غشاها لم تنطق
 بكلمة .. ولكنها نظرات الدهشة والحسرة الملائكية الساذجة
 نظرات تحمل معها كل معنى لشعجب والتمني والأعجاب سمعت
 ما ينظراتها من أعجاب وحسرة وتمني بها صوت أعلى .. أعلى
 من أي كلام .. تسمع إنفها الدقيقة بكك يدها وهي بارقة
 العيني كأنها لا تريد أن يغرورها أي فرصة لتضييع هذا
 المشهد الجميل بعينيها .. تنهد ... تعان على شفتيها
 الدقيقتين .. تنادي أخيرا لا يرد عليها .. تربت على كتفه
 تشده من ذنبه .. ~~البحر~~ تعود لتستلم الدموع الصامتة
 لقد أدركت ساعتها أن دموعها ماضى ألا ترحمه صادقة بويشة
 لإعلان عن آمانياتها وحرمانها في آن واحد ، لم تقو كثيرا
 على الصمت أشارت بأصبعها الصغير نحو الطسام المسكدين
 على الموائد الفاخرة .. صاحت في دهشة وتمني

ود محمود في دهشة لا تقل عنها دهشة

لا ده يفسلوا بين ياختي .

هداته من جلبابه إلى الحاج حتى تخرج من كتفه الضعيف

الماوي تغلب منه في تمنى أمنية حياتها أن تتلوى منه مرة

واحدة وتمسوت

محمود عابزه حته والنبى ... حته ليه وحته لاسى ...

نهرها بحدء امرا اياها ان تسكت اما ان تذهب .. ثم

ضاف فى لطف تحمل كل مرارة العالم

بهايتنى الحاجات دى بش ليننا ولا لا بسى الحاجات دى

وبس ان احنا نشوفها وكمان كثير علينا نشوفها ... اسكتنى

حسن لك والنبى .. انتظرت ساعتها ان اسمع رد هذا النبوى

لسالغ .. وبيا للعجب فلم تنطق بحرف بل تنهدت فى آسى وآنتم

ولم تجد الا الدموع وسيلة للتمنى .. لقد عجز السالكين عن

النطق وترجمت العيون كل الالم والامل معا .. كتبت انفسى

تى لا اقلع عليهم سعادة النظر .. فلت ان يشعروا بوجع دى

بيخرجوا منى ويخرجوا هاربين .. دقت المطبول وعلا صوت

لموسيقى يعلننا عن الفتنة البولية الطاهر ... عائلتك الاموات

والضحكات كل يفتسم نصيبه فى اشي المأكولات والصلوى

الفاخرة سمعت صوت صديقتى تناديني من البهو تبحت منى

لاتناول الغشاء معهم كانت حسرتى على الاطفال ابلغ من أى

شعور بالجوع والحرمان .. كدت اصرخ فى وجوه الجمهور

استحدثهم ان يخرجوا ليروا سالا راوه وما يهزقنى انا وهدى

لكن هيهات ان يشعر المتخن بالمحروم .. تعجبت بالظسروى

والهوى البشعه ما بين الحلفتين وبعد الصاع ومياح تناديني

في حرماني من متابعة ذلك المشهد النادر .. تسودت في
الدخول ولكنني سرعان ما اسرعت في الدخول بعد ان طرأت
عليّ فكرة في ان احضر لهم شيئاً من الحلوى التي تسعد معهم
واتابعه في عيونهم فرحتهم وسعادتهم بتذوق شيئاً ربيحاً لن
يتذوقوه في حياتهم .. ودخلت بسرعة نحو المائدة الفاخرة
التقطت اول ما عليها أعدت لهم طبقاً شهي وسريعاً سريعاً
لملمت المتفرغ من المأكولات الحلوى ورجعت ثواباً لهم
نصيبهم وفي سرعة انطلقت كالسهم المارقي وأنا أستطيع لأصوات
المنافقين وهم يتعجبون ويستكثرون عليّ ما لملمت منذ هشين
كانت التعليقات لازمة ساخرة ضاحكة .. لم أعنا بهم ولم
أهتم لهم .. لقد كان همي الأعظم ان الحق بهم عدت ..
وسريعاً سريعاً اتجهت نحوهم فلم أجدهم لقد كانت بيد
الحارس اللعينة اسرع من يدي لقد سمعت أصواتهم تصرخ
لتضييع في الهواء .. ورأيت بعيني أكثر من نصف المأكولات
التي كانت علي الموائد يلمسها الحارس ويلقوا بها في

التي بالية

چار نم احمد

تعودت أن أخرج إلى الشرفة فجر كل يوم أكون قد وقعت
 فيه فريسة لتفلق والأرق ، الذي كم كنت أعانى منه ليهال
 طوال كنت لا أوى لتفراش إلا بعد أن أراه اسمع موته ، أتفحص
 تلك العربية وذلك الحمار العجوز الهزيل وذلك الكلب الصغير
 الذى كم كان حزيما على أن يكون خلف العربية : وبالساعات
 يجرى بين عرباتها العرجاء ، يتقدمهم عم أحمد : كم كنت
 حريصة على ترقب ذلك المشهد المريع وسماع صوت عم أحمد
 ينادى بكلمات مخفولة << دهبسة لوز ، أهلة ، يابلسيلة >> ثم
 موت خطوات الطفل الذى كان يتقدم العربية ليتنقط الأوممية
 الفارغة من السلال المدلاة من الشرفات ... كم كنت حريصة
 على أن أرقبه - أشاهده - أسمعه : أتفحصه ، والعجيب أنه فور
 كل ذلك كنت أشعر بارتجاج نادر ، وأذهب إلى فراش هادئة ،
 والطفل فى ذلك يعود إلى عم أحمد :

نعم لقد كانت له نظرات هادئة قانعة راضية : فكم كان يتشير
 دهشتى منظر وهو جالس على الرصيف يحصى قروحه القليلة ثم
 يرفعهما إلى فمه يقبلها فى فرحة وقناعة منقطعة النظير : ثم
 يعود ويربّت على ظهر حماره الهزيل العجوز ، ثم ينادى على
 طفله الذى كم تناسى طفولته وطامعها الملحة فى طلب اللعب
 والله مع قروناته بمسؤولياته التى رضى بها لمرافقة أبيه
 العجوز عوناه على مسؤولياته يتشابهكا الأبدى فى صفة كاملة

الكلمب الصائير ، الدمار العجوز الهزيل ، الطفل النحيل ، عم
أحمد ليعودوا معا تربط بينهم تلك النظرة الحانية والحنانة
الراضية :

صحة عجيبة وحنانة غريبة تلوح كل احساس بالارتياح والشعور
بالرضا والحنانة :

كنت أمك لكل مريض يحتاج لعلاج نفسي أو يشكو من آلام
مادية أو مطامع دينوية أن يصر العلاج من عند عم أحمد
يراه يتبعه ، يسمعه فقط تم يشاهد ذلك المشهد وهو جالس
الكرسياء بعد قروشه القليلة في سعادة كبيرة : وقبلته
الشهيرة لها تم صحبته لأربعته وهما في طريق العودة
تصلحبهما تلك النظرة بالرضا والحنانة بالقليل ، وصوت
أقد امهم كأنها تتراقص على أشهر المقطوعات العالمية :
للموسيقى :

لقد كانت بالنسبة لي أعظم دواء لعاناتي وقلبي النفس
الذي أعجز أعظم وأشهر أطباء النفس :

بها من رباعية رائعة تحمل بين طيات رباعياتها أجمل
وأروع معاني الترابط: الحب ، التفاهم ، الحنان ، الرضا
تكامل غريب ، تربطني بهم مشاطة قوية ، تجذبني اليهم
تدغدغ كل معنى لثمود والارق والقلق ، الذي كنت أعاني منه
لولا حياتي

كم يهتجأ أهل بيته لحرمي الشديد علي رؤيتهم وسماهم ، لم
أبالي بهرد الشتاء أو حر الصيف في انتظار قدومهم والحرص
علي سماهم الي ان جاء اليوم الذي كنت فيه في الانتظار
لأوقب قدومهم وموت دقائق بطلبة ثقيلة ، وقد تأخروا ، أكثر
من دقائق الساعة ، لم يحضر عم أحمد في هذا اليوم ومو اليوم
الثاني والثالث والرابع - لم يحضر أحد لم أبال وقلت نفسي
نفس وبها ألمت به وعكة محبة بيبي وبين نفسي .. أشرت ..
فكرت في الطريقة التي تملني بهم أو السؤال عنهم ، فلم
أهتد الي خيط يملني بهم .. انتظرت ان يسألني أحمد عليهم
أو اسأل أحد عليهم - كيف السبيل ان أحاولت قصي أخبارهم
عن طريق الجيران .. لم أجد خبرا عند أحد يهديني اليهم ؛
ان لم يهتم أحد بهم أحمد سوى ؛ بآلها من غفلة ملست
قلوب الجميع .. الكل لاه بأحواله الخاصة فلم يهتف أحد
منهم نفسه سؤالا عن عم أحمد وثلاثيه المتواضعة المشهورة ..
وبعد علوي ترثب شد أني شاكروني الي بداية الخيط ، لقد تذكرت
يوما كنت مسافرة الي القاهرة في عجلة وكنت أستقل التاكسي
في صباح باكرا .. فقد لمحت عم أحمد وثلاثيه عاتدين وقد
أندروا في شارع جانبي هناك بعيدا نحو الأماكن المختصة
ببيع الخضروات - غلبت الظن انه وبها يكون مقبلا قريبا من
سوق الخضار وسريعا سريعا وبلا تردد دسست نفسي في ملابس

ولاول مرة لم اخترها بعناية كعادتي وظروبيت التي انشأها
لاستقل اول تاكسي بهربي ووجدت نفسي بلا وعي احكي للسائق
حكاية عمي احمد استجديبه ان يرافقني بحثا عن مسكنه ،استدار
السائق نحوي ، وادركت من خلال نظراته التي حملت اكثر من
معنى للسائق ، ولم تكن الملقه على عم احمد وثلاثيه ولكن
لأسف ادركت انها ملقاة على انا .

اعتقدت ان هذا السائق اتهمني ان لم يكن بالجنون فعلى الأقل
بالبلهية وفي تلك وضو استمع لوصف الشارع وبنوانه وما
عليه الا الطاعة حتى يتخلص مني ومن الخاص الجنوني عليه
واستجداتي المرير اليه - وبالفعل لم أبحث كثيرا عليه
لقد لمحتة من بعيد في نهاية الشارع الذي يقوده سوق الخضار
رأيت ، مررت - عم احمد - عم احمد - وقف وقف بها أسفلى ..
اشكرك وتنفس السائق الصعداء وكان من فرحت ان ينسى أجره
حتى يتخلص مني ، وانطلق كالسهم يهتتم بكلمات لم اسمعها
ولكنني حتما فهمتها لم أعيا به .. انطلقت مهرولا نحو عم
احمد سعيدة برؤيته متلهفة عليه قريت منه بخطوات سريعة
حزرة أبتلع انفاسي اكتم لهفتي فاندركت من شأني وهو جالس
الفرشاء على عتبة بيته والكلب بجواره والذباب يهاجسه
وقد اطلق عم احمد براسه بين ركبتيه في سكون وصمت يحوم

حول الألم وتملأ نفسه الحسرة، شارد .. كسير العينين .. هزيلي
الجسد وجلبابة المتسخة شبه الملهة لا تختلف كثيراً عنه
أقتربت منه في حذر وقد راعني وأزعني ذلك المشهد الحزين
المامت .. ربت على كتفيه .. أمسكت بيده الباردة الضاحية
وبصوت خافت تنكاد تخنقه الدموع

— عم أحمد .. أنت فيه

— انتفض عم أحمد المسكين .. استدار بعيداً عنى

— آيه فيه . آيه تانى .. عايزين من آيه ؟

— مالك بياعم أحمد أنا مشغولة عليك .. أزيك أنت بخير

سألنى من أكون — لم يذكرنى المسكين

آيه بياعم أحمد أنت مش مش عارفنى .. أنت مش لافكرنى

بهار اجل بياعيب رد على كلماتى ببطء حزين بعد أن أطال

النظر فى

— لا تأخذ بينى بياست هانم مش واخذ بالى

— لا لا يمكن أنت مش عارفنى بس أنا عارفك كويس د أنت

صاحبى من زمان وصاحب فضل علينا كلها

لم يرد عم أحمد بموته .. بلسانه بيل رد بس سخا

بعينين بدموعه بجسده الهزيل الذى اكل بيتهز ويوتعد

وموت المحبوس تدلعه نبرات الألم

— مالك بياعم أحمد خير؟ فينك؟ ولين آهيك ؟

— ابني بخير وانا بخير بياست هانم

— الحمد لله .. اهل بين الحمار ؟

— الحمار مات والعربية راحت ستين حته : منه لله

وراح في غيبوبة وسط الدموع .. راعني بنظرة وأزعجتني

حالتة البائسة البائسة .. جلست بجواره على قطعة خشبية

منها دكة فوق حجر كبير .. ربت على كتفه استجديه أن يقص

على حكايته ويروي لي مأساته .. مسع عيني بهكته تارة ويذيل

جلبابه تارة أخرى قال : ذات يوم لعين وهوعاند فرح بقروشه

الذهبية وصحبته السعيدة يتهخترون ، ولجأة أتت سيارة فارها

الطول مسرعة في جنون وفي ثوان مدمت الحمار والعربية ..

مات الحمار تورا ودمرت العربية تماما وبالييت انتهى الأمر

على ذلك بل ذاق عم أحمد الأمرين في الحجز بالقسم وقصد

أشبعوه وكلا وشربا آدمى آدميته وزبح بقوتيه وخروج بعد أن

أقر أنه المزنق وقد تعد بأشنع التلذذات التي بالسببارة

الفخرة الفخمة .. عاد عم أحمد مفر المدين — ختم عم أحمد

حكايته المؤلمة أو مأساته وسط دموع ودموعه — ثم عاد

عاد << عم أحمد >> ينادي في الحى بأعلى صوته .. << دميسة نور

أشلة التبيلة >> وخطوات الطفل الصغير والكاتب التجوز

والحمار الجديد والعربية الجديدة وابتنساية امتنان وشكر ..

يلوح لي بعيد من بعيد يردد كلمات : الدنيا بخير : الدنيا

بخير صباحك أشلة بياست هانم

دعوة للقراء

جنس كمال عبد الهادي رجل الاعمال الثري المشهور ..

في انتظار بعض المدعوين لتعقد صفته استيراد جديدة ..

يتمثل الكاس التي بيده .. يرتشف كاسه وهو شارد مهموم

وبها لانه مل ذلك الجو الملحم بارباء والمجاملات المغتعله

والخفاق والتلويح كان لا يحلونه تلك الصفقات وهذه الدعوات

العنيفة التي طالما تألف منها ولا يقدم عليها الا بكل ضيق

واضطراب .. لا يدري لماذا هذه ماضيه الطويل الى الوراء ..

تذكر ايام ماضيه وحرمان كم عاناه وقاسى منه .. اهتمهم

عندما تذكر اليوم الذي كان يتابع فيه خطوات حبيبته الممزي

الشابة وقابله اخوها اخوها واشبه ضربا وركلا وعاد لامه

لا يفكر في الام الضرب والاهانة بالقدر الذي يفكر في قبيحه

الممزي الذي كان لا يملك سواه .. تذكر كيف تسولت له امه

قبيحا بدلا منه من إحدى الجارات لقد كان العمر الافتراضي

لقبيحه الممزي قد انتهى من سنوات طويلة .. تذكر كم كان

يحلو له الحب والامل وسط الحرمان والعمل

تذكر ان ايام كان طالبا بالجامعة وهو يحفل من حداثه الممزي

لهي شبابا وعودة إحدى الخنادق الضخم والذي كم تمنى ان

يدخلها حتى نعمل بها كعامل مسعد أو عامل نظافة .. قصته مع

الحياة طويلة استرجاع ماضيه وعاش مع حرمانه ومساكنه أكثر

من دقائق الساعة وفي الوقت الذي يهيم في انبيبه مسديقه

بإعلان وصول الولد المنتظر

قام متناثلاً سريعاً سريعاً أنهى الصلوة . همس في أذن صديقه
المقرب إليه قائلاً . . كمال بك الصلوة دي نأدوه وجنتها لابد
أن نحتفل بها حفل بهيج يليق بها

رد عليه كمال عبد الهادي <<بليفه>> كأنه كان ينتظر هذا
القول من صديقه

— فعلا فكرة رائعة بإسماعيل لازم نحتفل بها ولكن ليس كما
تقصد ولا ككل احتفال كما تصورت

— رد اسماعيل في دهشة ماذا تقصد كما تصورت ؟ أتتسوى أن
تقبلها حفلة تنكرية هذه المرة وتعالى ضحكاتها . .

— لا لا بإسماعيل المرة هذه سادعو أهل قريبتى فسيم فقراء
والبعض الفقير من أهلى طلالها طال الخراق بيننا وطلالها
من أعلى اتصل ومن منع المال عدل فسوف اتصل وأعود لأهلى
قريبتى فعندى حنين لاتصل بها عدل وأعود لأكون ودودا . .
وأضاف فى تمنى

— اسماعيل انتظن انهم سيتقبلون بحديه الدعوة ويحضرون ؟

رد صديق فى دهشة واستنكار

— معقول !! طبعا سوف يحضرون هو فى حد يرفض دعوة فاحش
مثل دعوتك هو حد يهزل . . طبعا سوف يحضرون وبما لابنهمون

الطويل حتى يحين الميعاد من الفرحة والاستعداد

وسريرها طبعت كروت الدعوة وتحديد الميعاد وتم إرسال البطاقات الخشبية درجة أولى ... وفي الميعاد كان كل شيء على أهبة الاستعداد وكان كمال عبد الهادي حريصا على الحضور قبل الميعاد لتنفيذ كل شيء وبطلان بنفسيه فليس تمام وكمال الاحتفال .

جلس على أول مقعد بجوار الباب الخارجى حتى يرى أهل بلده الطغراء ليسترق من عيونهم نظرات الفرة بلقاء والمتودد ثم مرت دقائق الساعة بقليلة ثقيلة والضحكات تضيء على شفاههم كلما حاول مدسقه اسماعيل أن يلهيه عن قسوة الانتظان فبطلان بين الحين والحين

أنهم حتما أتون مجنون من يرفض دعوة كهذه مجانا للبرود
مرت ساعة .. ساعتان .. ثلاث لم يحضر أحد

سار جو من التوتر والانشغال .. مرت كالدهر عليه لم يحضر أحد ضرب عليه فى دهشة .. فقد رفضت دعوته ولم يكن هناك بدا من أنقاذ الموقف والخروج من الحرج وما هو إلا اتصال تليفونى واحد حتى كانت الساعة تكتظ بالمدعوين الأثرياء ...
يأكلون بلا شهية

يضحكون بلا سبب .. يتكلمون بلا معنى ولم يهتأ أحد منهم عن

معرفة السبب

مہلا یا منی تحکمون

تقف سيدة في حوالى الثلاثين من عمرها تمسك بقضبان
 حديدية تقبض بيديها فوقها بقوة وملاحة تعلو أنفها الحاد
 لمحة كبرياء وشمم .. وفي عينيها نظرات حادة والسم ..
 تكسو ملامح وجهها الحزين مرارة والم .. تنظر الى لاشيء ..
 تضغط أسنانها البعض حتى تنهم أو تكاد كأنها تضغط مرارة
 لا تحتمل .. تهتمل مآسى العالم في دقائق تنتظر .. وعلى
 مضى تمتلئ .. تنظر في لا مبالاة حوالىها .. شاردة بعض
 الشيء .. لتعود لنفسها من خلال ابتسامة ساخرة باردة ..
 كأنها تهزأ بالمكان أو الزمان .. أو البشر .. نظرات
 لا تحمل الا كل معنى لعمق زوال الم .. يدخل القاعة رجل ضخم
 البنية .. ذو شارب عريض ووجه متقلب هازم .. وبصوت عريض
 يصرخ ..
 - بحكمة ..

يدخل القاعة رجال القضاء في هدوء ووقار ليتخذ كل منهم
 مكانه .. ويطلب السيد الرئيس المناداه على المتهم ليعود
 ذلك الصوت العريض بالمناداه ..
 فريدة عهد العمال حسيين ..

لم تعال صاحبة الاسم بسماع اسمها وكل ما كان يبدو عليها
 فقط أن حركات حبات عيناها نحو المنصة لتتبع بنظراتها الحادة
 الساخرة على الجالسين كأنها تلعنهم بنظراتها الممساة

ولعننا تنها الخرساء .. كان هويتها أعلى من أى صراخ .. كانت
 نظراتها احد من حد السبك .. وقف المحامى ليقدم دفاعه ..
 وثى محاولة مستهينة لتبرئتها .. وحوار دأى بين النيابة
 والمحامى .. تستمع بكل التقزز والاهمئزاز الساخر تارة
 لتبرئتها وتارات وتارات لادانتها .. ساد السهدوء لحظة
 ساخنة لتهدب <فريدة> وتقطع لحظة الصمت بردها السبارد
 واعتراؤها الصريع لجريمتها .. لتضرب بحقها فى السبراء
 عرض الحائط .. غير مبالية بالدفاع .. غير عابئة بالبراءة
 .. لتقول ..

أنا بالأمس كنت حرة ملبية .. واليوم مجرمة حبيسة قضبانكم
 دخلت بالأمس ساحة قضائكم حرة فى نظركم لأتسول الحرية منكم
 من قيد آدمى معصى .. الله يكرمنا والنبى عليه الصلاة
 والسلام يرضى بنا .. وبحرياتنا واحترام شعور الانسى وكفالة
 حقها .. وانتم تضربون عرض الحائط كل القيم لتستندون على
 اقوال شهود فى أدق اسرار الحياة الزوجية .. وانتم
 تعلمون أنه يمكن الحصول عليهم بأرخص الوسائل واحقرها ..
 ما أبشع الظلم وما أرخص القيم .. تهربون وتلتصون ..
 تطيلون .. وتفترون .. والحقيقة ما أقربها لكم وأبسطها
 معكم .. ومجسده فى قول زوجة تعترف لكم بكل الصراخ
 والوضوح لتستنجد بكم وتتسول منكم حريتها من رجل آدمى

معصمها قيده وذبحت عنقها كراهيته والنور به ومنه . بعد
ان غر الثقاء. الذهني والتقارب العاطفي حتى احترقت القلوب
الندبة والمشاعر الحية

منطلق قريب .. وقانون شاذ عجيب نخلقه من عقولنا المحدودة
ونسطره بايدينا المهزوزة ثم بعد ذلك نقدره بارواحنا ...
الى من نجيب النداء الى قانون السماء ام قانون البشر ..
ان كنت سارق اقطعوا يدي ..

ولست بسارق شيء مادي او عيني ولكنني بكل الصدق والحق
اقول استرقت من الزمن سعادتي واغتصبت من العمر فرحتي لأملا
بها قلبي المحترق وجسدي البالي .. فانتم اليوم تؤلسون
انفسكم الحكم وانتم في الحقيقة الخمم والحكم .. ابيست
بالامس لكم مستجيرة ضعيفة كسيرة غريبة استنجد بكم
لتحكموا لي ولو بقروش اسد بها رمقي واستر بها جسدي مع
نسبان حق الطبيعى في الحياة .. وفي الحقيقة لم انساه
ولن .. ولكنني تناسيته وهكذا نسيتوه انتم تماما ..

رددتموني .. رفضتموني .. نسيتهموني .. بل سددتم انوفكم
كم يهتتم رائحة عفن يتقرؤ لها انه فيستاء منها ليطردها
ويحفظها .. فمن غيركم اسائه العدالة .. ومن غيركم اتسول
منه الرحمة والشفقة .. رددتموني خائبة خائبة ليس لي
معين او سنيذ في الحياة ..

أردت أن أسترده حبيبتي لأبد أو بهويي لتمام مساري حياتي التي
أملكها أنا وليس هو .. استمتع بها أنا وتحكمتم أنتم بها
ليس ذنبي أنني كنت امرأة .. ضلت الطريق .. وبها أساءت
الاختيار لحداثة عمرها .. وبها .. ولكنها حتما إنسانة ..
حتمها بشر .. لها أحاسيس وإنسانية لا تمتن .. كرمها الله
وحباها وأوصى عليها سيد الرسل .. فابين الوصية بياعبيد الله
أنا اليوم ألك حبيسة القضيبان أوتكب جريئة في نظركم لا
تفتخر .. فابين كنتم أنتم بالأمس وأنا أتسول منكم حبيبتي ..
حقى .. عمري .. بحق القدر .. أاعترف أنا الآن بجرمي فمن
منكم يلك بجرمه ويعترف .. ملت وجلت .. ذهبت وأبيت ..
قابلت ورفضت .. جعت وشبعت .. فمن منكم يعترف ..
حقا كنت زوجة فاضلة لرجل غبي عنيد جاهل جبار ظالم .. جاني
هو الحق .. لحقني أنا هاضم .. استغثت بكم فلم أجد من بينكم
نصر ولا نصك .. انتظرت وطال الانتظار .. ليس يوما ولا شهرا
بل دهرًا وألف ألف دهر ولا تدرون أن ساعة الانتظار عند المظلوم
الجامع دهر لها بئانكم فإن الساعة ليست ساعة من سنون ..
وسنون .. وأعمار تضيق وتملأ .. وشباب يندثر .. وبطلون ..
وقلوب فارغة تنتظر .. تصرخ .. تتفلم .. تتسول .. لا يجيب ..
لا سميع .. لا معين .. فمن أين تسترق الزمن .. وضعت القانون
بعقول محدودة من البشر ولغيتهم قانون القدر ..

ونحن نسنا بملائكة فما نحن الا بشر ..

نحن واضع القانون .. وما القانون واضعنا ...

نحن مؤلف التثريبات وليست التثريبات تؤلفتنا ...

نحن خالق العيوب والدالعين لها ومعها

دين الله يامرنا وقانون الناس يحكمنا ... والله يخلقنا

ويكرمنا ونحن نخلق القانون ليضيقنا ويهتيتنا ...

الى من نستمع ونطيع .. الى دين الله ام الى قانون البشر

على اى شيء تحاكمون وعلى من تحكمون .. وعلى ^{الله} ~~الى~~ ^{الشيء} ~~الشيء~~

تشيرون .. وانتم فى الحقيقة المتسبون والدالعين ...

تحاكموننى اليوم وانتم فى الحقيقة للمحاكمة تستحقون ...

جريمة القتل عقابها الهلك وجريمة السرقة عقابها السجن

وجريمة الزنا عقابها الرجم او الجلد .. فمن يحاكمكم ~~انتم~~

بما واضع القانون الظالم ومنطدى الظلم على البشر

والضعفاء .. فانتم فى الحقيقة القتل .. قتل العمومي ..

السارقون لزمى السالكون لحرقتي .. ومغتصبون شهادتي

وبهرقتي .. اين كنتم بالامس وانا حرة استكمين، تعدلكم

واستجير من الظلم بقانونكم .. اخطات .. اخطات .. لا تتعصب

ولا تلم .. ان شئت فاصح .. واحترم الى ..

انسانا .. انا .. مظلومة انا .. امراة انا فكيف احبها على

الانكاس والحرمان كالصنم ..

فأنتم البادئين بالظلم ونحن المتابعون فبنييت جرمي تباعا .

والتنتيجة للظلمكم .. ومن بنى على باطل فهو باطل ..

الذي عدل ينتظر من خلال قانون ظالم ألغته عقول محدودة ..

والذين ألغوها في قلوب جبارة ألغت قانون السماء ليحكمها

قانون البشر وضعتهم الضلال في كلمة القانون ثم احترمتوه

وضعتهم ^{أولئك الذين} الكذب وصدقتموه ..

وضعتهم ^{أولئك الذين} الظلم ثم حلقتموه ..

عيني الحق التي تتنقلوا بهرائتي أنا وادانتكم أنتم ..

الذين عيني ^{أولئك الذين} قانونكم إلا تحيدوا عن ادانتى .. وأنتم بها

الأخرى ... لكم ما هنتم ولا أبالي براءيتكم .. لست أنتظر

حكمكم ولا تتعنييني ^{أولئك الذين} بعض تبرئكم لقانون الغابة عندكم

التي ^{أولئك الذين} التمسادة .. عند الله كوابي أو عقابي وليس عند

اللعيد ... والله يغفر للسارق الجائع .. فمن منكم منزله

عيني ^{أولئك الذين} الخطأ حتى لو توفرت له سبل المعيشة الكريمة من منكم

يحيي ^{أولئك الذين} براءة الأجنة في الأرحام من منكم في طهارة الملائكة في

السماء .. لويل لأية حاكمها أمي وحكمها مجنون ..

— حكمت المحكمات —

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

و افتد تنی اُمی

في حجرة شبه مظلمة .. وجهاز تسجيل بجواره .. والطبيب الشاب
 جلس اليه وقد استلقى <<وخيد>> في شبه غيبوبة إثر حقنة ليهدأ
 بعد ثروة جامعة ليسترسل حديثه المريع الذي كان يحمل كل المصراة
 زلتا .. بدأ واضحا على ملامح وجهه ودموعه الغزيرة لينسج
 اول خيوط مأساته التي خرج منها بقايا انسان وقيل ان يهدأ
 قمته .. بل مأساته التقط سيجارة من علبته .. أشعلها ..
 اخذ يتأمل ذلك الدخان الابيض .. يتفحصه كأنه يحاول ان يترجم
 شيء ما بداخله .. يتابعه ويهم في محاولة سريعة ان يمسك به ..
 يجذبه .. يحتويه بداخل يده لينتجها بعد ذلك فلا يجد شيئا ..
 يرتعد .. يبتعد في مرآة ويبدأ .. يرتفع تشيجه متقلعا ذليلا ..
 هاردا .. تنبثق عيناه .. يلفظ أسنانه في غيظ .. يصرخ <<أماه ..
 اماه .. سامحيني .. سامحيني >>

يسرع الطبيب في محاولة خاطئة لتهدئته .. يعود بعد برهة
 ليسأله : - أنا لست طبيبا بل مديبا .. اذا كبيراً .. افترع لي
 مدرك .. قص ما عندك .. تلقى اننى خير من يحفظ سرك .. ساخذ بهدك
 بهم <<وخيد>> ليحتضن الطبيب باكيا .. صارخا ..
 - لست مجرما .. لست مذنباً فأنى هو السبب .. هو المجرم الحقيقي
 عاد <<وخيد>> يلوح بيدهم المريب فترة متوقفا ليحتضن
 ركبتيه بذراعيه ليدفن رأسه بينهما كأنه يحاول الهروب من
 او المواجهة لمأساته ...

يبحث الطبيب في هدوء .. يرويت على كتفيه مساعدا ايها على
 لكلام حتى يستريح واعد ايها بالحل متكفلا بزمان راحتته
 لمفقودة .. نظر اليه <<وحيد>> نظرات تحمل كل المرارة والالم
 :انه يستجديه ان يتركه حتى ينسى تلك المأساة التي اوصلته
 لهذه الحالة المبهلة التي يعيشها .. صرخ ..
 - توعدنى بالحل لراحتى .. تحتنى على الكلام .. فهل تستطيع ان
 تعود لى بها من قبرها ؟ .. توهب الحياة للانسان الوحيد الذى
 احبها وضحى بحياته لاجلها .. لتبرئنى بعد ذلك من نفسى .. وامام
 نفسى .. من طيش الذى راع بسببه اقرب الناس الى قلبى .. واحب
 الناس اليها ..
 من كلماته هذه فى سرعة مضغوطة كأنه يحاول ألا يفهمه أحد سواء
 والذى أدرك الطبيب بعدها أن هذا الشاب يحيا فى مأساة رهيبه
 تسببها عليه .. يضيح بداخلها .. تائها معها .. متفوقا محتظنا
 احزانه وآلامه بسببها حتى أصبح بقايا انسان على وهك ان يفقد
 بقايا عقله بل حياته .. صاح فيه الطبيب فى الصاع ..
 <<وحيد>> اعلم ان بداخلك سر رهيب ومأساة هائلة .. ان لم تحاول
 ان تسامدنى وتتكلم سوف تفقد عقلك كاملا وستضيح حياتك ..
 تكلم .. تكلم بها اذن .. قل لى فانا معك ولن اتخلى عنك .. ماذا
 عندك ؟ ماذا بداخلك ؟ تكلم ..

هنا تنبيه <<وهيد>> من شروده وقد بدا عليه الذعر .. يهتعد
لى ارتباك وريبة .. ينظر حوله كأنه يتفحص المكان ليتأكد له
خلوه من أى شخص غريب والمطبيب .. يعود لتفوق مكانه مرة أخرى
بجعل سيجاره من أخرى ليعود لنفس حركاته المأتمنة السابقة بهذا
ليلًا ثم يكمل حديثا بدأه بغموض منذ قليل
- أحببتها من كل قلبى .. تمنيت أن نعيش جميعها فى مكان واحد
لمن حلى الطبيعى أن أتواجد معها ومعه لنحيا تلك الحياة الأسرية
الطبيعية الكاملة والتي يعيشها الملايين سوى .. لكن لم أستطع
لاختلافهما الدائم وعدم تقارب الأفكار والعقول سويا ..
بدأت طفولتى فى بيت لا يعرف الهدوء ولا الاستقرار .. أصغر من نرمى
كل يوم على صوت والدى وقد وصل الى أعنان السماء .. يسبها ..
يلعنها لتزد عليه بنفس الطاقه .. أخرج من حجرتى لأجدها باكية ..
ساحطة .. نادى عليها العاثر .. لأربت على كتفها فى براءة وسداجة
لمير واع للأسباب أو للحقائق .. لقد كنت طفلا لاأى شيء وما حيلتى
حين ذاك سوى الدموع والخاوف من أن يتفرقا وأحرم من أحدهما ..
مشت طفولتى كاملة فى هذا الحرمان من الاستقرار العائلى .. كنت
أخرج مع والدى منفردين لأسمع منه كل الكلمات المشينة عنها .. كل
الأسباب لأدانتها .. لأعود لها وأتفحصها فى طفولة ساذجة لعنايتها
لتسببها فى غضب أبى الذى مثلى الأعلى بكل الحنان الذى صبه على
بل بكل تدليل .. لأرى بداخلها حنانا حقيقيا .. عميقا محدودا حقيقيا

وبها لأنها أرادت أن تكون حازمة معى حتى تعوض تدليل أبى
 مفرط لى .. التى كانت دائما قلقة شائرة خوفا على منه ..
 أفيهما كطبيعة الأطفال من ضحك لهم فهو حبيب ومن كان حازما
 أصبح عدوا .. صدقت كل كلمة مشينة سمعتها من أبى الذى كسان
 يزيداد كل ساعة سبها ولعننها وادانتها .. حتى جاء اليوم
 الموعود والخيمل المحدود وضاق القلب بها حمل واحتمل ..
 فشلت كل المحاولات لجمع هتات المعيشة التى أصبحت مستحيلة
 وعز القضاء .. بالفعل تركت البيت .. عاشت مع أخيها .. طلبت
 الانضمام وحين ذاك لم يلب أبى طلبها بل ضاعف عباده ليكسر
 كهربائها ويزيد فى آلالها .. توسلت إليه .. وقد بدأت كل
 محاولاتها بالفشل الذريع .. لم تجد بدا من دخول ساحات القضاء
 لتلجأ للقانون والشرعية لنصرتها وأخذ حلقها الملتصق فى
 محاولة يائسة لاثبات حقها .. لم تستطع .. طالت الهدم بها
 جعلها تخرج لميدان العمل حتى لا تكون حملا ثقيلا على أخيها
 الذى كان محدود الدخل وأيضا اعتبرتها نوعا من الترفيع
 عنها بدلا من حالتها المنطوية الحزينة لطول الانتظار ..
 وكل حدث عيبه بذلك فالمرأة دائما هى المدانة التى تقع
 عليها كل المسئولية فى الدمار والخراب .. غير تلك الإساءات
 والأقويل الكاذبة التى تشير إليها الاصابع فى قسوة وجود
 كل ذلك جعلنى أصب لعننى وكراحتى وحقدى عليها يوم بعد يوم

يزداد حقدى لها ساعة بعد ساعة .. تفقد عندي قدسيتهما
 احترامها كامن ... أما أبى فقد اكتنزت له كل الحب .. كل
 الاحترام والتقدير .. مما جعله ينفذ الى قلبي ليستأثر به لنفسه
 فى انانية وجهل غير عالم بخلورة ما هو فاعله .. كل ذلك جعل
 لهوة تتسع بينى وبينها مما جعلنى أكره رؤياها واتهرب من كل
 مجادلة بهاثة منها لرؤيى .. لم أعلم أنها كانت تتمزق لفراس
 .. تتألم لموقفى هذا وعاشته .. المسكينة شهورا بل سنين فى
 حرمان تام تدفنه بداخل خلومها وحيدة تهتلع مرارة فشنها فى
 زوجها وابنها الوحيد فى صمت وسكون وكبرياء .. كم كانت جميلة
 .. عنيدة .. تعتنز بكرامتها .. كبريائها والذى كم ادماه فيها
 والذى المشهور المغرور وهى التى تحملته طوال عهده لسنين كل
 ذلك كان من أجلنى حتى لا أتركها ضيعة حين ذاك وهى التى ابتلعت
 مدمنتها فى أبى وفعلها فى التقارب الذهنى بينهما والذى اكتشفت
 عقب حملها فى .. صبرت طوال السنين على مفض حتى لا يزعجوني من
 مدرها الى أن أتى اليوم المشنوم ونفذ مبرها وشارت فيه كرامتها
 الذهبية لتخرج مقسمة أنها لن تعود .. وحين ذ قاطعه الطبيب فى
 ألامبشان ليشتعل له سيجارة من أخرى قائلة فى مزاج جدى ..
 - ألا ما المشكلة هنا وأنا أراك تشهد لأمك وقد كبرت وعرفت
 حقيقة موقفها .. وتدافع عنها .. وانى لا أحترم فيك ذلك ...
 وقبل أن ينتهى الطبيب من كلماته وتعليقه عليه حتى تنبه <<وحيد>>
 فى سرعة خافعة

اعتدل كأنه تلقى مطعة قوية على غفلة منه .. ضغط يده
 في حركة عصبية تشنجية .. تقلصت يداه ضرب الحائط حتى فلن
 الطبيب انه اخترقه من قوة الرملة والتي نتج عنها خروج وجرح
 هائل بيده .. أسرع الطبيب في حركة خاطفة لأعطائه حقه مبدئاً
 وبينما كان الطبيب منصرفاً عنه بتضميد جرح يده سمع منه كلمات
 غامضة غير مرتبه لم يفهم منها حرفاً واحداً ..
 سأل فور انتهائه من تضميد يده وقد كان متألماً منها بعض
 الشيء .. سأل بالحاج لتكملة القصة ..
 - <<وحيد>> هات ما عندك .. اكمل قصتك .. وما هي المأساة
 إذا بعد ذلك ؟
 استدار وحيد في حركة بملئية ليتفادى أي ألم ليده المصابه
 ليكمل المأساة ...
 - الحرمان .. الحرمان .. المشاكل .. العقبات التي صادفتها
 المسكينة جعلتها تلجأ اليه .. تآوى الى صدره عسى أن يتحمل
 عنها القليل .. عليها تجد المشورة والرأي السديد .. تحكى
 اليه .. ليفهمها .. يشاركها أحاسيسها الدامية وحرماناتها
 القاتل .. حدث .. حدث بالفعل .. تقاربت الآراء .. التهمت
 المهاجر .. وانتلفت الأرواح .. تعانقت القلوب .. أحبها ..
 عاونها بكل الحنان في الحب الذي اكتنزه طوال حياته لها
 .. أخذ بيدها ربت على كتفها .. سمعها .. قدرها ..

وثق بها كل ثقة العالم .. واعدوا ايهاا بهتغريبها عن كل
حياتها السابقة والتي ضاعت بلا اى شهرة حلوة تغيبر ملعم الممارسة
التي عاشتها طوال حياتها السوداء مع ابي والناس الظالمين لها
ولمبادئها المقدسة والتي لم يلمسها ولم يقدرها مخلوق سواه
<<سامي>> .. الاستاذ سامي المدير الذي كانت تعمل في شركته ..
رجل ارمل .. ماتت زوجته من سنين .. ظل بلا زواج بعدها حافظا
لذكرها .. اى ان صادف اُمى المسكينة .. اعجب بذلكها .. وجدها
في عملها حتى اصبحت الكرتيرة الخاصة له .. قربت الاحاديهست
الشخصية بينهما محاولا تفسير تلك القطرة الحزينة في عينيهما
التي لم تشاركها الدموع وحدث ماكان يخيف ايب المغرور الناس ..
وظهر له الاستاذ <<سامي>> محاولا الاصلاح بلا فائدة .. تكسرت
المحاولات .. ادادت المشادات حتى صارت بصورة علنية وتحد ظاهرا
امام الجميع كعادة والدي .. مهاجمتها .. ادانتها .. سبها ..
رد عليه الاستاذ <<سامي>> بالعكس الصحيح .. مما جعل والدي
يتمادى في اتهامها بالعلاقة المريبة .. وصار في جمل وعناد لكل
ماهو مشين بينها وبين مديرها وكلما حاول مهاجمته علنا وتحديه
بكل الوسائل التي يأت بها بالخطل انبرتد بعدها لفضيحتها
المغيرة التي لم يجد سواها للتأثير عليها وبنت كراهية وحقد
العالم في صدر الصغير ضد امه .. نجح بالفعل في خطته السفسير
مقصودة والتي انقشت بي لان اكون مجرما .. قاتلا .. ثم متهربا

من السعدالة لأنهم بالهوية القاتلة التي أعيش فيها الآن لأضع أحب
الناس إلى قلبي بدلا عنى فى رضاء منها وهدوء وسكون وصمت طلال
إلى الموت ...

سكن <<وحيد>> لاذ بالصمت ومرة أخرى بدت عليه علامات الخسوف
الذهول .. مرارة غريبة فى عينييه .. أسس وحزن بدا على وجهه
انشأخ .. أخذ يهز رأسه هزات عنيفة ينادى .. يتوسل فى صوت
ذليل وخيبة أمل ذريعة .. يصرخ ..

.. قتلته .. قتلته .. نعم أنا القاتل .. أنا القاتل .. لست
أنا السبب .. أبى هو المذنب الحقيقى .. خلق منى مجرما وبلا
قصد أنتزع الحب من قلبي ليرضع مكانه كل الحقد والكراهية لها
مستأثرا بى له وهذه .. مظهرا لى سوء حالته .. تدهور صحته ..
أصل السبب بها .. كم أجبرنى على الاستيقاظ من نومي لأراه باكيا
حزينا على تدهور صحته التي ساءت بسببها .. كل ذلك دفعنى بلا
أدنى تفكير أو تردد لأذهب إليه .. لأدري لماذا ذهبت ؟ هل
لاستعطفه ليترك أمى حتى تشبهه بالخسة ليحبرها على العودة ..
أم ذهبت لأهدده أم لأقتله .. لم استمع أن أحدهم هدنى وأنا الذى
كنت ماألت صبيها .. ذهبت إليه وأنا فى شبه غيبوبة كانى المخدر
.. معدت السلم ومرة والذى كان يتعذب من الألم لم تفارق
خيمالى فكلما تذكرتها كلما أددادى علىهما .. ضغط الجرس
بعد تردد لم يدم طويلا

فتح لي .. رأيت به ملابس النوم .. وقد كان واضحا عليه آثار
مرض واعياء .. دخلت اليه .. كلمته في قسوة بالغة .. لم اذكر
تماما ماذا دار .. لكن كل ما في خيالي وذاكرتي انه كان لطيفا
للغاية .. مقسما لي انه ليس السبب وان المشكلة بين والدتي كانت
قائمة من قبل وجوده في حياة امي .. وانه لمانع من ان يكون
صديقا او اخا لها بعباؤها وببساندها .. ولضت لطفه .. لظلت احاطه
مددت بوجهه كل التوسلات في ان يبيع مديني ليترك بجانبى هو الآخر
واعدا اياه ان الجأ اليه وقت الشدة قائلا انه لمانع من ان يكون
لي في الحياة اكثر من اب .. واعدا اياه ان يكون لي نعم الصديق
واولي رفيق لي ولا اى المسكينة .. حاول ان يفسر لي موقف امي من
أبي .. ذلل أمامي كل الصعاب دلدلها ليظهرها لي صورة طبيعيتها
مقبولة وعلى ان اتقبلها بترحاب وتساؤل .. قال .. وقال .. تكلم
كثيرا .. توسل أكثر وأكثر .. ألم في طلبه ان يتركني لأجعله صديقا
واعدا انه سيكون هدية من السماء لي ولا اى .. مدالعا عنها مستميتا
في تهراتها .. قال كثيرا وكان كلامه .. جميلا .. صادقا .. عاقلا ..
لكن للأسف أبين كل ذلك منى .. من قلبى الذى كان وقتها لا مكان فيه
لحرف واحد من كل ما قال .. كان كلامه كالورود التى قد افنى بها
لترتطم بحدار عنادى وكراهيتى السوداء لتتساقط ذابلة بلا فائدة
بل لم اسمع صوته قط .. كل ما كان يدور برأسى صوت أبى .. مرض أبى
تظلم أبى .. إهانات أبى .. أبى .. أبى .. لا احد سوى أبى ..

شردت قلبلا ابتسم المسكين وبها لهم من صمتي القصير أنه بدأ
 التآشير على .. وبها .. ونحن في لحظة خفت أن يؤثر على بكلامه
 المعسول .. لم أدر ساعتها أن كل هذا يخرج من القلب الطبيب النادر
 الذي كان على أتم الاستعداد لتحمل أمي بجميع مشاكلها وتعويضها
 لحرمانها وانتظارها .. خفت أن يؤثر على نبيضهم واليهم وأترك
 أبي وحيدا .. مريضا .. فاقضى على البقية الباقية .. مرخت فيه
 دلعته عنى بعد أن كان يريد أن يحتضنني ليقبلني .. لم أدر
 بنفسى إلا وأنا التفت ذلك المسكين الذي كان في طبق الطاكهة
 على المنضدة والذي التفتته بسرعة خاطفة لألعنه في قلبه يسقط
 على أثرها يتودى في دماؤه .. مستجديا أبى أن أساعده على طلب
 الأسعاف .. كنت مذهولا وقد شعرت ساعتها بالانشطى والانتصار متوهما
 أنني سوف أحمل لأبى أحمل هدية .. شعرت بيدى على كتفى ومركبة
 مكتومة .. استدرت في دهول .. رأيتها في عينيهما دهول وفجعة
 أنها أمي .. مرخت في مرخاتها المكتومة الملتاعة ..

- <<وحييد>> بياجنون .. ماذا فعلت ؟

وردت في خوف وتردد

- مش عارف .. مش عارف .. أنا عملت كده ليه .. أنت السبب ..
 ولم أشعر بنفسى إلا وهى تاحط المسكين من يدي .. وتدلعنى بيديها
 في قوة هزيلة .. ضعيفة

أخرج ولا تتكلم ! ولا تقول شيء .. أى شيء ! أومى <<بياوحييد>>

أومى . روع نام ولا تقول أى شيء .. فاهم أخرج بسرعة

لم أشعر بنفسى إلا وأنا أجذبها معى فى طفولة وسداجة كانى
 لم افعل شىء .. فقد شعرت ساعتها اننى أخاف عليها هى الأخرى
 ولما لا وأن احترق القلب الاحضر لن تلاحقه نيران الحقد فى جزوه
 التى ما زالت تحمل بين فليباتها حبي لأمى .. ولها لا وهى أمى
 قالت لى وهى ممسكة بىدي يديها المرتعدة الباردة
 - بهامسكين انت ضحية أبىك متنى .. لكن لم استلمع أن انك ذلك من
 برائته لتنجو معى بعيداً عن سومه .. وقد جعل منك مجرم ..
 قاتلة " بهامسكين .. اخرج وسوف أتصرف أنا .. ذهبت ذلك اليوم
 لم انم ليلتى .. ولم أجوز على أن امارح أحد بجرمى بل ضلعت
 كتمته فى صدرى بين ضلوعى حتى أصبح كالبركان الذى على وشك
 الانفجار .. فقد قدمت أمى نفسها فداها لى .. واعترفت على
 نفسها بانها هى القاتلة لتقضى ولدها من مصير اسود كان ينتظره
 من جريمة راحت فيها حياة اثنين من الأبرياء .. ضحايا الحقد
 والكراهية .. ماذا ال الماضى فى صدرى يحيا وتعود أمى فى أحلامى
 لترانى باكية .. محذرة .. ناصحة لى بزوع الحب والسلام فى كل

 مكان

وهل تضييع الملائكة

وَأهل تَفْيِيعِ الْهَلَاكَةِ

بين عشوات وعشوات من النساء والرجال جلست وكلى عزم

وأصرار على تقديم يد العون لكل محتاج .. فقد كنت إحدى

عضوات الجمعية الخيرية في مدينتنا .. كنا جميعا بجمعنا

هدف واحد هو حب الخير ومساعدة الفقراء والمرضى .. كنا

نقوم بزيارات كثيرة للمستشفيات والملاجئ؛ نحاول توزيع

ما تجمع لدينا من تبرعات وأمانات أهل الخير ...

في هذه المرة كنا في زيارة لأحدى المستشفيات حيث

أقيم لنا حفل استقبال كبيرة في حديثها .. لقد كان

المكان جميلا حقا .. بعض المرضى يجلسون وسط خضرة الحديقة

في منظر تنس له عين الناظر .. بعض الممرضات يمسحن

المكان في زيهم شديد البياض .. مجموعة الأطباء تمطف في

المقاعد الامامية .. الكل في حالة تأهب .. انتظارا لبدء

الحفل .. طال الانتظار .. بدأت اسأل .. لم كل هذا

الانتظار .. لم اسمع سوى كلمات تهدئة بأسامة تتنقى على

الانتظار حتى تحضر فنيقة شرف هذا الحفل زوجة أحد الشخصيات

الهامة في مدينتنا .. طال وطال الانتظار .. بدأ الملل

بالتسرب الى مدري .. بيئست من حضورها .. حاولت طرد ذلك

الملل بالتجول بين حجرات المستشفى على استمطيع تمضية

الوقت حتى حضور ضيفتنا الكريمة العزيزة ...

اجتزت ذلك المدخل المنسقى .. المزين .. الجميل ..
متحملة صالة طويلة .. بدايتها نظيفة .. قد تم ملء
جدرانها منذ وقت قصير .. وبعد طول مسيرتي .. تشهد
الحال .. انقلبت النظافة الى افعال شديدة .. الجدران
بالبياض .. نظرت في الحجرات فاذا بها عكس ما رأيت كان
الابدي لم تمتد لنظافتها منذ سنين طويلة .. شعرت
بصدري يضيق .. انفاسي تختنق .. نفسي تشمئذ مما رأيت
أمامي في مستشفى من المفروض أن تكون على درجة من
النظافة تساعد مريض الصدر على اجتياز مرحلة مرضه
اللعين الى درجة الشفاء الكامل بكل الوسائل . الغذاء
الذي لا رغبة فيه .. العلاج .. الدواء الذي لا كفاية فيه
.. النظافة والتعقيم الذي لا وجود له تماما .. بل العكس
هو الصحيح .. سرت منتثاقلة متقوزة من رائحة المكان
ومظهره .. وكأنت .. كم اشفقت على المرضى المساكين
الذين كم رأيت تلك النظرة الشائعة في عيونهم كأنهم
يبتطلون كل بدوره ولا حول لهم ولا قوة ...

تساءلت .. مرخت .. أين الطبيب ؟ .. أين المسؤولون
دخلت الى اقرب مكان يمكن ان ارى به طبيب أو مسؤول فلم
اجد .. بعد معوبة شديدة .. رأيت طبيبا جالسا .. يمسك
الجريدة .. يدخل سيجارته في فم وقوف .. ينظر في

ساعته بين الحين والحين كأنه يريد أن يجر عقارب ساعته
حتى ينتهى وقت وروديته حتى يخرج الى حيث الحوية والانطلاق ...
شعرت من خلال حركاته انه مقيد .. سجين ينتظر وقت الافراج ...
اقتربت منه .. سألته فى استفسار .. ثائرة ...
كيف تتركون المرضى بهذا الوضع ؟ وكيف تملون بهذا المكان الى
هذا الاهمال والتسبب الذى اراه ؟

قاملبنى بسرعة قائلا :

- هدنى نفسك يا هانم .. ليس لدينا .. انما هذه هى الامكانيات
ممتاحة لنا .. ماذا سنفعل ؟

تركنى وانا الملم كفاى ببعضهما فى حيرة والى .. تركبنى كان
باموريته قد انتهت عند هذا الحد .. استدرت تاركة المكان
وكلى حيرة والى .. وبينهما وانا فى طريقي سمعت استغاثة ...
انين .. تشييع .. واضح انه من احدى ضحايا نزلاء تلك المصح ..
انتظرت ان ارى او اسمع اية حركة لاسعافه وبها ليبنى ما انتظرت
.. لقد ذهلت .. صغقت مما سمعت .. رأيت مخلوقة بشعة .. قدرة
الاخلاق مهمة المنظر تصرخ فيه مهددة اياه ان يخفض صوته امره
ايهه بالصمت و الصبر حتى حضور الطبيب الذى لا وجود له ولا اثر
.. كعد ذهب بدوره الى دنيا الانطلاق و الحربة .. لم اجد بدا من
الذهاب اليه بنفسى .. وجدته باكبها .. حزينا .. مددت لى يدي
لأرسله على كتفه الهزيل .. اقمى عظام كتفه البارزة .. رأيت

بوجهه الشاحب الهزيل الك الك معنى للألم .. للحياس ..
 للحزن .. جلست اليه وقلبي بل كيانى يتمزق من رؤية دموعه
 تنهمر فى سخاء والم ... بكيت لبكائه .. حزنت لأحزانه ... هللت
 اليه أن يسألنى أى شيء اليه له بنفسى .. واعدة أباه بتقديم
 كل معونه على قدر امكاني .. نظرت لى بكل عينييه .. مد يده
 ليهمس دموعه المنهمرة بلا انقطاع .. ترتعد شفتاه .. تنتفض
 يداه .. قدماه بل ينتفض كل جسده .. بهيما أمد له يدي حائيه
 لى رفق وحزن رأيتهم سريعا فى حركة خاطفه ليجذب يدي ويهمل
 برأسه فى حركة ذليلة .. كسيرة ليقل يدي
 — أنا فى عرضك بياست هانم
 رددت فى هدوء حزين
 — أى خدمة .. أى علاج .. ماذا تريد ؟ أنادى لك الطبيب ..
 رد فى دلة وانكسار
 — بياست هانم .. أنا مش مهم فى عرضك أولادى زوجتى فى خطر ..
 أرجوك .. أرجوك .. الحبيبهم .. أرجوك .. أتوسل اليك ..
 هنا أدركت أن هذا المريض يعيش مأساتين داميتين .. مأساة
 حياته .. محنته .. ومأساة أسرته .. زوجته .. أطفاله ...
 قبل أن يبدلعنى فضولى لسماعه أدركت لابد وأن هناك مبعاد لحقنة
 أو دواء .. سألتته .. عرفت صحة ما فكرت فيه .. هممت وأعطيتته

الدواء بنفسى .. احضرت الحقنة .. اعطيتها له حتى يهدأ
رويدا .. رويدا .. وقد رأيت ذلك واضحا فى قسماث وجهه الذى بدا
عليه مسحة من الراحة المؤقتة .. مما شجعتنى بعد ذلك أن أهتم
لأسأله فى استفسار ملح على تقديم المساعدة .. أبى معونة له ..
سألت أباه أن يكمل قصته .. بل بأسائه ..
نظر لى فى اسجداء .. حزين .. سكروم .. قائلا لى قصته الستى
سردها بكل هدوء وخجل :-

أنا بياست هانم كنت ماسحا للأذية .. أأكل لقمتى من عرق جبينى
.. وكنت والحمد لله مستور الحال .. ماشى فى الدنيا بالعافية ..
الى أن تزوجت وأنجبت سبعة من العيال .. أصبحت لأدري من أين
أطعمهم ؟ .. ومن أين أعول هذه الكتل البشرية السبع ؟ مما
اضطر زوجتى المسكينة أن تخرج للحياة .. عملت خادمة .. كدت
.. تعبت والحمد لله .. القرش جرى فى ايدينا .. كنت أكره نفسى
كلما وجدتتها تعود لى ولأولادى منتقلة بالشعب والمرضى الذى
يلازمها الآن .. كرهت حياتى .. أحسست بالضيق .. دعامت لى
دوامة .. تعاطيت المواد المخدرة بكافة أنواعها .. كانت هذه
هى البداية لمرضى التعيين ثم انسقت وراء ثلثة سوء عطنى
أجد المخرج .. هربت من مواجهة واقعى المرير لأجرب حظى فى
لعب القمار على أمل المكسب الكبير لكن وأسفاه أضاع منى
الكثير من قوت ورزق أولادى وعرق زوجتى المريضه المسكينة

وها أنا الآن أجنى ثمرة استهتارى واستسلامى لرفقاء السوء
 وادمان المخدرات .. ضاعت محتى .. اعتل بدنى .. ضاعت زوجتى
 ضاعت أولادى .. انهم الآن فى ذلك الببيت القديم المتهالك . لير
 الصحن .. لقد صدر قرار بإزالتة لأنه آل للسقوط .. لقد انتهى
 عمره الافتراضى ومع ذلك نتمسك به فهو المأوى الوحيد لزوجتى
 وأولادى .. زوجتى حامل فى شهورها الأخيرة وقد ضعفت محتها ...
 تقاسى المرض وآلام الحمل .. خدمة أملكالى السبع .. والآن
 انقطعت أخبارهم عنى تماما .. مشغول .. ازداد قلبنى وهمى ..
 فوق مرضى عليهم .. أرجوك .. أرجوك .. ياست هانم تاضلى
 العنوان .. ربنا يخليكى تشوفيهم .. تلمنينى عليهم .
 بعد أن أكمل كلماته التى تحمل مأساة من مأسى البشرية
 المتكورة كل يوم من الفقر وضحاياها .. التفتت سريعا ورقة من
 حقيبته وكتبت عليها العنوان بكل دقة .. وما أن همت للانصراف
 وأنا أستمع لكلمات الشكر والامتنان والدعاء .. ليعود مرة أخرى
 يلح فى مذلة وانكسار يكرر لى أن أطمئنه ويذكرنى بوعدى فى
 الحاج بل استجداء حزين .. وعدته .. كورت وعدى بأن أطمئنه ..
 انصرفت سريعا من أمامه .. أسفا على منظره المؤلم المؤسف
 الحزين ..
 اجتزت الطريقة التى بين العنابر فى شروء وأسى على مارابيت
 وسمعت .. ألفت من شرودى ولغيفلى المكتوم على تصفيق حاد

وقد امتلأ المكان بالزغاريد والتهليل وكلمات الترحاب ..
 فادركت أن ضيقة الشرف قد هلت بطلعتها البهية ونورها على
 المكان بعد انتظار طال أمده فقدت خلاله الأمل في حضورها امتلات
 عيني بهذا المشهد التهنيلي الهللي وأنا اسمع أصوات الأعداء
 والتجهيز لبدء ذلك الاحتفال المزعوم بتلك السيدة وغيرها من
 لير العائنين بأصحاب الحقوق الضائعة .. الضحايا .. المظلومين
 . انطلقت كالسهم تاركة المكان لعنة أباء وكل الحاضرين ..
 محاولة نسيان ما مررت به .. ما قابلته في بيومي هذا .. عسدا
 كلمات .. نظرات .. الحاح .. استجداء هذا المريض المسكين
 وعائلته المملحونة .. فقد كان كل ما تذكره وكل ما يهلا عيني
 والذى .. رأسى .. صدى هو قصة هذا الرجل المسكين وأسرته
 الضائعة .. عدت لبيتي مجدة .. متعبة .. بها رأيت .. وسمعت ..
 خلعت ملابس في أهمال .. متكاسلة متراخية .. تناولت غداشى ..
 وبينما أنا جالسة على منضدة الطعام .. تذكرت فجأة .. شرودت
 مع كلمات الإلحاح والاستجداء .. أسرع لملابسى .. حقيرتى ..
 افتش في توتر وقلق خوفا من ضياع تلك الورقة التى تحمى
 العنوان الذى أعطانى أباء << عم حسنين >> .. وجدتها .. وأبنتها
 .. فرحت بها كأنى عثرت على شيء ثمين ذو قيمة كبيرة .. ولما لا
 روى بالعمل ستحمل كل الأمل لنفوس ضائعة .. ملهاة .. مريضة ..
 تنتظر أبة معونة أو أعانة .. لم أكمل وجهتى أو تدببت ملابس مرة

تأشمة . هبمت السلم سريعا . . انطلقت الى عنوان << عم حسنين >>
 اهتديت اليه بعد طول عذاب رحلة شاقة اجتزت خلالها حارات وشوارع
 وأزقة لا تصلح للمعيشة الآدمية . علاوة على ما رأيت داخل المواضع
 وصعوبة التنقل فيها . . أخيرا . . أخيرا . . وصلت . . طرقت الباب بخفة
 وهدوء فقد كان واضحا عليه علامات التهاك . عبارة عن مجموعة من
 الصفيح المترام . . يعلوها طبقة من الصدا . . انفرج الباب فإذا
 أمامي طفلة لم تتعدى الثماني سنوات . . هزيلة . . ضعيفة . . شاحبا
 لا يستر جسدها الهزيل سوى خيوط قد ارتبعت ببعضها البعض . .
 يتسدل شعرها في إهمال على رقبتها التي يعلوها التراب والطين
 كأنها لم تغسل منذ ولادتها . . صعدت من منظر هذه الطفلة البائسة
 المسكينة . . شردت . . تسمرت قدماي . . لم ألق إلا على صوت كان
 الأنين ياتي من الداخل تنادى به صوت سيده . . لترد عليها الطفلة
 في برائة :-

— <<مش عارفة بيامه واحدة ساكتة . واقلة . مش واضية تتكلم >>
 تداركت نفسي سريعا وقبل أن أقم بالسؤال . رأيتها . . سيده لم
 الأربعين أودوتها قليلا . . وبها أكثر بكثير ولكن عوامل الحرمان
 والمرض أضاعا الى وحيتها وجسدها الهزيل المماثل لطفلاتها
 الكثير والعديد من السنين . . والتي أظهرتها كثيرا . . أكبر
 من عمرها الحقيقي . . خرجت لي في خطوات متعثرة . . متثاقلا
 . . تجر القدم ثلث الأخرى في صعوبة متناهية . . تلتقط انفاسه

بمجموعة الثالثة .. مهلهلة الملابس والصحة معا .. سالتني

في دهشة قاتلة :-

- أهلا وسهلا .. مهن حضرتك .. عابزه حاجة بياست هانم ...

رددت عليها .. وقد اقتربت أن ابكى على حالتها المتأخرة ..

البائسة ..

- انت الست <<سعدية>> زوجة عم <<حسنين>> نزيل مستشفى الصدر

دت في سرعة خاطفة وكأنها حريصة على الالتصاع خبر سوء عن زوجها

المريبس

- أبوه .. لديه خبر .. فيه حاجة .. وحياة النسي فيه ابه ...

رددت عليها سريعا محاولة أن أطمئنها عليه :-

- لايست <<سعدية>> أطمئني عم <<حسنين>> بخير .. ده بس مشغول

لبيكم .. وباعتني أطمئن عليك وعلى العيال .. علشان بقاله أكثر

من شهر ماخوش بهيسال فيكم ..

لبل أن أكمل كلماتي المطمئنة لها وجدتها تستند على الحائط

الذي هو الآخر في حالة أسوأ من حالتها المتهالكة .. تضع يدها

على صدرها في محاولة للانتقام أنفاسها المتأخرة منها بسبب حالة

الخوف والتوتر على زوجها .. بدا على قسماك وجهها الشاحب الذي

تهرز عظامه في إعلان واضح ومريب عن سوء تغذية مزمن ، ولويل الأعد

- ببعني وحياة النسي حسنين بخصس

- صدقيني بياست سعدية هو بخير .. بخير الحمد لله

بعد برهة استدارت سعدية في بطل شديد قائمة لى
 - انفضلى بهاست هانم .. الحثه متى قد المقام دخلت خلفها ..
 تعثرت قدمها .. كانت على وشك السقوط .. اندفعت خلفها لى
 محاولة خاطفة لتداعى بها قبل أن تصطدم بالأرض .. التقلها لحقت
 بها .. اسندتها بكل ما اوتيت من قوة .. خولها عليها وعلى الجنين
 الذى صار ال باحشاشها .. راحقتها خطواتها البهيمية .. المرتعدة
 .. أوصلتها لفرأشها .. بالأسف على ما رايت .. بملانية .. أقصد
 بقايا بملانية مهلهلة بها الك رقعة .. تفرشها فوق حصيرة ..
 فى نهاية الحصيرة قطع مبعثرة مهلهلة من بقايا قماش .. تلتف
 ببعض قطع القطن الأسود المتسخ .. اكتشفت بعد ذلك بمعوبة أنها
 وسادة لرأس فى ركن من أركان الحجرة .. اناء فخار
 به القليل من الماء .. بجانبه صفيحة فارغة .. وكوب من الصفيح
 مغطى ومسحة من الصفا .. التفت حولى اتفحص المكان الكئيب
 المختلق كأنه القبر المهدم .. المخرب .. الموشك على الانهيار
 .. شد بصرى منظر من أبشع ما تراه العين البشرية من مأساة
 للفقر والجوع .. سبعة من الأطفال يجلسون فى هدوء ونهم فى
 حلقة يتوسطها فتات الخبز .. يتلقفون مسحات من الجبن والفول
 الذى أوثك على الانتهاء .. يمسحون بملحياتهم .. الصغيرة
 الملتفتة البقايا الضئيلة وما تبقى فى طبقهم البالى .. تمتد
 الأيدي .. فتخرج فأرة بلا أى عالى بها .. قانعين أو غير ذلك

لمحت في عيونهم كل الحرمان والجوع .. علامات الفقر واضحة
عليهم وعلى المكان .. هزرت راسي ساخرة .. أسفة مما رأيت أطفال
أبرياء نأثى بهم للحياة القاسية .. لندفنهم في شياطين الفقر
والحرمان .. تذكرت سربها صادرسناه أثناء الدراسة من قصة
السيدة الفقيرة التي كانت تغلى الحما في قدر على النار لتوهم
أطفالها الجوع بأن هناك طعاما يطهى ليناموا .. ثم تذكرت
موقف أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب من هذه السيدة
وكيف كان يتفقد حال الرعية ليلا .. ثم بكائه مما رأى
تنبّهت بل أفقت من صمتي وشرودي الحزين على مأساة هذه الكتل
البشرية الهزيلة الشاحبة .. التي لا ذنب لها غير أنها خرجت لتعبر
في مستنقع الفقر والحرمان ..

— وحياة النبي بياست هانم <<أبو اسماعيل>> حالتها شكلها أبيه
تساءلت في استفسار ملح تشوبه البلاء

— <<أبو اسماعيل>> .. <<أبو اسماعيل>> ميين ؟

ودت بياسية . بسمنتها الحزينة والتي تخفى خلفها المرارة والالم

— <<أبو اسماعيل>> جوزي .. قصدي <<حسين>> أبو الولاد ودت

في ضيق .. أفر ما بحدري من موفقات على المأساة التي أراها أمامي

— <<أبو اسماعيل>> كوييس .. المهم أنت بيامسكينة وهالنتك النبي

بورثي لها .. والولاد الباسيين دولي عاملين أبيه ..

— يعني هتكون عاملين أبيه .. بياست هانم .. أهو زى ما أنت شامدة

حالتنا لا تشر عدو ولا حبيب.. وانا مش قادرة على عمل اى شىء
 .. خلاص .. بافضيها ابيام .. بس ضايقة على العيال .. ربنا بيسترها
 لغاية لم ابوهم يطيّب ويخرج لهم .. قبل ما اموت ..
 هممت ان اصرخ فيها والدموع قد ملأت عيني ..
 - الف سلامة تموتى ما انت كويسه .. عندك ايه .. حاسة بسايبه ..
 ليه سايبه نفسك كده .. ردت فى استفسار
 - يعنى ايه بياست هانم سايبه نفسى كده .. طيب اعمل ايه
 - روى للدكتور ..
 ردت بسايبه ساخرة
 - دكتور .. دكتور ميهن بياست هانم .. اسكتى الله بيسترك
 انا رحت المستوصف والست الدكتوراه قالت لى عندك سوء تغذية
 ولازم تتغذى كويس
 ردت سريعا
 - طب ليه ... اسرعان ما ادركت شفاة سؤالى قبل ان اسال
 وقف فى حلقى .. اهتمتته فى بياس .. كتمتته فى مرارة .. سالتها
 عن مصدر رزقها الان ومن اين تجد المال لمسايرة الحياة بدون
 زوجها العليل وكيف تقوم بالصرف على اطفالها الارباء ..
 ردت فى هدوء حزين ومرارة بالغة .. بحياء وخجل تكلمت
 - اهي بياست هانم ربنا ما بينساك عبيده .. وولاد الخلال كثير
 الواد <<اسماعيل>> يشتغل هغلانه كده عند واحد بقال ..

واللهت <> سيدة <> بتساعد الست <> عليه <> الممرضة جارتنا عند

الدكتور .. يعني اهو ربنا ساترها وانا خلاص مش قادرة اشتغل
وددت في استحقاق ومثل

— قصدك تقولي ان الولاد مش في المدرسة .. يعني ..

— مدرسة .. مدرسة آه بياست هانم . طيب منين صرف عليهم في
المدارس .. على على المنى .. احنا لاقين ناكل . ربنا هو العالم
.. الشكوى لغير الله بذلة قلت في استفسار

— طيب ليه انت سايه نفسك كده .. ماكان بلاش الولاد الكثير دول
.. خصوصاً وانت محتاجه للغذاء والعلاج

— غذا .. علاج .. منين بياست هانم .. وانت ست العارفين ..
الحاجه عاليه .. نار .. وان قدرت اشترى حاجه حتكفي مين ولا مين
.. مش ممكن يهون عليه اكل واسيب العيال جعانيين
قلت لها ناصحة .. وكأني ادلها على شيء ذو قيمة لعلها تتعلم
الطريقة ...

— طيب <> بباسعديه <> انت مش عارفه ان الجمعيات التعاونيه فيها
كل شيء وباسعار معقوله .. هي الدولة مش عملها علشان توفر لنا
كل شيء ..

وقبل ان اكمل نصيحتي .. قاطعتني في تهكم شديد

— جمعية .. آيه بياست هانم .. هو انا اقدر اسيب العيال والفل
واقلة من صاحبة ربنا قدام الجمعية .. ست .. سبع ساعات اشوف

فيهم المراهرة والذل من طول الانتظار وقدام عيني ..

يخرج الموظف ويهشتم فينا .. ويهرمنا في هابور .. وكل شوية تلاقى

شاب تافه يضايبك .. ولما يهيجى الدور علىي .. اسمع في بحاجة

صوت يهصرخ فينا من جوه الجمعية خلاص الخراخ ولا اللحم ولا السكر

ولا .. ولا .. خلعن وهو اصلنا قفلت البخت بهاست هانم .. المحاسيب

والبهوات الحاجة تروح لهم بيتهم . ده حتى <<عبد الممد الحدي>>

مدير الجمعية في الحى بتاعنا شالوه ويحققوا معاه دلوقت

علشان كان يهسرق قوت الناس الغلابه الى زينا بهاست هانم .. انا

في عرضك متوجعنيش اكتر من كده وصللى على النبي .. داحنا

عابيشين في غابة .. الغنى هو صاحب الكلمة .. القرش بيشتري كل

شئ حتى الضمير

— مش ممكن بهاسته .. الا كان فيه واحد منحرف وحرامى .. مش

لازم الكل يهقى حرامى .. الدنيا لسه بخير

ردت سريعا ساخرة

— طبعا بهاست هانم .. ما انت هانم .. ومالكهيش في الكلام ده ...

دانا كنت بشتغل عند بيه كبير قوى .. مش عارفة كانوا بيقلوا

انه مدير كبير قوى .. وكان عندهم خير اللهم صلى على النبي

مش عارفة جاي ازاي ومنين ده كان قبل الحاجة ماتدخل الجمعية

كانت تدخل عندهم الاول .. قولى يارب بهاست هانم .. عرفت بقى

ان الغنى والى عنده سلطة هو القوى في زمانا دوت .

لم أدر بأي كلمات أريد عليها .. هل أعزبها في حالها ؟
 أم أعزى نفسي على تصرفات الأدميين في زماننا هذا سألت نفسي هل
 انعدمت الانسانية ؟ هل ماتت العدالة من قاموس البشر ؟ هل ضاعت
 الرحمة في زمن الحياة ؟ كم أسفت لم سمعت .. تقزرت نفسي من
 أغنياء لا يعرفون عن الشرف شيء .. يتبارون في جمع الأموال وبأية
 طريقة .. يتسابقون في تغيير سياراتهم وإقامة الحفلات .. ماذا
 سيحدث لو كلفوا أنفسهم في تقليل من الجهد والقليل القليل من
 مائهم في ادخال السعادة في قلوب البشر .. ماذا لو كانوا سبها
 في أن تعلق الابتسامة شفاه من هم أقل منهم غناء .. سرخت في
 أعماقي صرخة تزلزل لها كياني .. قلبي .. ضلوعي .. من المسئول
 من هذه المأساة التي يعيشها ملايين الأفراد في كل أنحاء الأرض .
 استغفرك يا الهي .. أسألك مامصير هؤلاء الأطفال الذين يخوضون
 الحياة بلا علم أو معرفة .. يخرجون جوعاً محرومين .. سيكون هدفهم
 الأوحى سد حرمانهم من جوع .. عرى .. بأية وسيلة .. سرقة .. نصب
 احتيال .. وربما يملكون لدرجة القتل .. هل سيجدون من يلتفت لهم
 العذر ؟ هل سيجدون من يقف بجانبهم ليقول بلسانهم .. ويستعرض
 حرمانهم .. جوعهم .. عريهم .. بالطبع لا والف لا .. للأسف الشديد
 نحن البشر لانبحث البهينة الاجتماعية والنفسية والحرمان الذي
 يحق هؤلاء المذنبين .. بل تعاقب وبكل قسوة لنصب لعناتنا ...
 بنقا عليهم .. ولاندرك ما الأسباب التي أوصلتهم لهذه النتيجة

البشعة المؤسسة مرة أخرى ألقت بنفسى بنفسى من هذه الدوامة
البشعة والثورة المضغوطة بين ضلوعى .. وفكرى الذى كاد يحترق
عما رأيت وسمعت .. اردت ساعتها ان آخذ هذه السيدة المتهاكمة
وهذه الكتل البشرية السبع لأقف بهم فى أعلى مكان ليبراهم الناس
خاصة المسؤولين .. الأغنياء .. المتورطين المصمة آذانهم والعصيا
مبيونهم عما فى مجتمعهم من ضياع .. بياضسين .. ضحايا .. منكوبين
لم أجد وسيلة أنفت بها عن ثورتى سوى ان أبدأ بنفسى بهد يد
المعونة بكل وسيلة وبهاى طريقة لهذه الأسيرة التى لا حول لها ولا قوة
فتحت حقيبتي .. فضفت كيس نقودى ولم أبل الا على قروش قليلة
لمواصلتى .. دستت يدي بها فى يد <<سعدية>> واعدة اياها ان
أعود للسؤال عنها وأيضاً معاودة السؤال عن زوجها <<أبو اسماعيل>>
فى المصحة .

* خرجت الى الشارع .. كارهة ان انظر فى وجوه الناس
الغافلين يبحث كل بدوره عن ملزاته .. كماليات .. شهوات .. غير
عابىء بغيره حتى ولو وصل للدرجة التى رأيت فيها حالة سعدية
وأطفالها السبع .. ضحايا الجهل .. الفقر .. المرض .. الحرمان
وبينما لم اصل بعد الى مدخل الصارة التى فى نهايتها يقبع ذلك
القبور الذى يحوى بداخل جدرانها البالية كتل بشرية حية مريضة ..
تنهت على مرخات طفل قد شد على يدي فى استجداء وخوف ذليل ..
وقلت .. استدرت الى حيث مصدر الصوت انها <<سيدة>> بنت <<سعدية>>

سمعتها تصرخ باكية .. مرتعدة ...

— الحقى .. الحقى .. أمى حتموت .. الحقيها والنهى

لم أنتظر أن تكمل المظلة كلماتها المكشوفة على أمها ...

اصطحبتها . سريعا رجعت معها بكل النلفة والقلق .. دخلت وجدتها

ملقاة على وجهها .. تعض الأرض وطينها .. تشد شعرها .. تصرخ

فى أنين خافت هزيل .. ضعيف .. ما أن رأتنى حتى نظرت لى نظرات

لن أنساها .. سمعتها تقول :

— الحقينى .. الحقينى .. يا ست هانم أنا يموت

استوضحت الأمر سألتها هل اكتملت شهور الحمل ؟

قالت وهى تعض فى أصابعها

— يظهر كدة برضه أنا بولد .. أنا فى عرشفك يا ست هانم ماتسبنيش

أيقنت سريعا أن المسكينة محتاجة الى معونة سريعة ثوا

خرجت .. طلبت لها الأسعاف .. رجعت لها بسرعة أسألتها عن

الطريقة التى استطيع أن أعاونها بها حتى يهل الأسعاف . سألتها ..

— من فى الحى يستطيع أن يهاتى لمعاونتنا

لم ترد .. سألت أولادها والحزن والوجوم وأضا على وجوههم ...

لم يردوا فقد كانوا فى حالة من الزعر والهكاء الخائل .. فسى

عبيونهم ومدورهم .. فلما نلتهم بدورى على أمهم .. ربت على أكتافهم

ابتسمت لهم من وسط دموعى .. لقد كنت أنا الأخرى فى حاجة لمن

يساعدنى يهدى من روعى وروعهم ..

موت ساعة وأكثر ولم تصل الأسعاف بعد .. <<سعدية>> صامتة ساكنة .. تنقلص قسومات وجهها من الألم .. نزيف دموي هائل واضح فوق ملابسها المبهللة .. يداها الباردة تلسعني في صمت .. قربت منها محاولة أن ألهثنها .. أساعدها على الكلام أحثها عليه .. حتى تنفاسي ولو لفترة قصيرة ألامها ..

قلت لها باسم ابتسامة مضطربة :

— ألهثني يا سعدية أنت بخير .. الأسعاف جاي وكل حاجة ستكون بخير لا تخافى ...

لم ترد ... ابتسمت ابتسامة كل المرارة والألم والعذاب البشع الذي بداخلها .. لا يدري بها أحد سوى وأولادها المتجمعين حولها .. أهارت لي يدها الشاحبة .. الباردة .. ملكت عليها سريعا ... شعرت أنها تريد أن تقول شيئا وبالفعل قالت .. قالت بشفتيها التي بدأت تصبح بالزرقاء ..

— ولادى .. ولادى بها ست هانم .. فى عرضك .. ولادى ..

مالت نحو يدي لتقبلها بكل قوة جسدها الهزيل .. لم تكمل .. لم تلمح أكثر من ذلك .. غربت عيناها .. سقطت يداها من حول يدي .. سكنت .. صمتت .. هذات والى الأبد .. ظننت أنها فى حالة الغماء .. وبينها وأنا فى مخاوفي وقلقى ودموعى .. سمعت صوت سيارة الأسعاف القادمة عند مدخل الحارة ..

دخل رجال الاسعاف فحسوها باهمال شديد بلا مبالاة ..

يهرم أحدهم شفتاه .. قائلاً ؛

— دى ماتت .. أسفين ..

انصرفوا غير عابئين .. تركوها بين يدي .. صامتة .. ساكنة ..

انصرفوا بلا كلمة .. بلا تعزية .. قائلين ..

— الاسعاف لا يحمل الموتى ..

الأطفال فى حالة زعر .. صرخات .. بكاء .. تشهيق .. ألم .. خوف ...

كل هذا يراى هل على أهمهم عاشلهم الوحيد فى الحياة .. أم على

الحياة نفسها .. والمسير المجهول والمستقبل الغامض الذى ينتظرهم

شيعت الأم لمتواها الأخير ذ هممت أن انصرف .. تلك حولى

الأطفال يستجدوننى ليس بصرخاتهم الدليلة الكبيرة لحسب بل بالابتسامة

.. الأمر .. تلك النظرات التى ينظرون لى بها من أربعة عشر عين

تحمل كل واحدة منها رجاء .. استجداء .. عدم تركهم ..

بها لها من مرارة .. بيا له من عذاب .. تهت فى دوامة التساؤلات

الملحة .. ما واجبى الآن ؟ .. أذهب <لحسنين> أوف اليه خبره

قدره الأسود اللعين .. وما التصرف فى أمر الطفل المنكوبين ؟

تهت .. ضعت وسط آلاف من الحلول .. لم تفارق عيونى صورة الأم وحالة

الآب وضياع الأطفال .. بيا لك .. أنت الخالق .. أنت العائل .. أنت

العادل .. الرحمن .. الرحيم .. يارب .. ابتليت فرحمت .. أسفمت

فأهيت .. قدرت فأهقت .. ثم تعاليت فأنعمت ..

فسبحانك ربى .. والحمد لك وحدك .. لقد شاء القلب بهما همل
واحتمل .. فهد يدك لتعول .. لترحم هؤلاء الأملفال الضائعين .. من
غيرك يعلم بعبادك أكثر منك ..

اصطحبت الأملفال جميعا .. ذهبت بهم الى الملجأ .. لأدعهم يكملون
حياتهم كما قدرها لهم الله .. تاركة أباهم ذاهبة لأبيهم ليعلم
بدوره قدره .. أولاده .. فقد وجدته لم يشاء الله أن يسمعه نهاية
ماساته البهعة

انتهت مسئولية الأبوين .. ليخرج الأملفال فى الحياة وحدا
لهم الله ..

وهل تضيع الهلثكة

الجزء الثانى

* سنون مروت تملوى بداخلها الشهور والأيام بلا مبالاة لما حدث
تلك الكتل البشرية المكدسة بداخل ذلك المبنى العتيق المهمل في
سخرية ممن يحتويه من بسر بلا مأوى . بلا رحمة .. بلا عيب ساهرة ..
راسية .. حانية ...

دخلت متناقلة منهكة لتادية الواجب الانساني الذي حملته على
كاهلي منذ <<عشر سنوات >> .. منذ أن ولدت نفسي بالعناية هؤلاء
الأطفال السبعة بعد وفاة والديهم وتركها للمصير المظلم ...
للمضباع القاسي .. لقد رأيت أن أول مهمة لي أن أودعهم ذلك الملجأ
اللعين حتى أعفى نفسي من المسؤولية لتحديد مستقبلهم المجهول ...
كم أشققت عليهم لعدم وجود قريب أو صديق يخفف قسوة الظروف التي
وقعوا فيها بلا رحمة ولا شفقة .. كنت اكلف نفسي السؤال والتردد
لبيهم من حين لآخر لرؤيتهم لمجرد الأملينان .. وتهدياتهم ومسح
دموعهم الضائعة ومخاوفهم المستمرة .. وكم حزني نفسي مشهد أعناقهم
الكسيرة .. عيونهم الدليلة .. سرخاستهم المضطربة في مدورهم الصغيرة
المتهتكة .. كنت أقوم بتلبية البعض الضئيل من مطالبهم الزهيدة
بمحاولة إشباع أي نقص .. في محاولة ضائعة .. بإتاحة لتتبدل نظراتهم
الحزينة الدليلة الى شبه فرحة باهتة بما كنت أشتريه لهم من
أهدايا الزهيدة التي كم أشبعيت عندهم رغبة متواضعة ...

الذات على صوت <<اسماعيل>> وهو مسرع نحوي في خطوات

سريية .. سعدة بلقاء .. قبلد .. مسحت على شعره الأصغر الناع
سائته في استفسار ملس ..

— <<اسماعيل>> هيبس . عامل ايه .. بيتذاكر ولا لا .. اودع
السنة دي مهمة لتتوييد مستقبلك ..

رد قذلة وانكسار

سالميني باماما .. انا بذاكر .. بس عايز .. عايز

لاهللك انه خجول .. امسكته من كتفه في اصرار .. قلت له ..

ايه .. مش عيب تنكسك من ماما طلباتك ؟

رفع راسه في هدوء ليل .. محاولا اجبار عينيه ان تنظر لى وقد
على ملامح الحيرة والخجل .. همس

— ماما .. الاكل هنا مش ..

قامطته في ارتجاع مؤكدة علمي بذلك

علا باصبيبي .. انا عارف ان الاكل مش تمام وانت لازم تتفدى على
الامتحان والمزاكرة والسهر ...

سست يدي في حقيبتي لأخرج له بعض النقود .. لمحته ارتبك .. اضلم

— ماما .. بلاش .. انا مش عايز فلوس من فضلك ..

تعجبت !! . تساءلت في دهشة

— يعني ايه <<بباسماعيل>> . مش كنت بتشتكى من ...

— ماما .. أرجوك انا .. انا بمراحة كل الفلوس اللي باخدها منك
مايعرفش اصرفها لوحدى ..

قامت في دهشة وزهول ...

.. متى فاهمة قمدك ايه ..

بعد ان ضغطت عليه في الحاح وامرار ان يوضح مقصده ...

بعد ان استحللني بالا ابوج بسره .. قال متلعتها "

.. اهلى .. اهلى انا بديها للفراش فور انصراغك ...

قامت في ضيق ودهشة ..

.. آه .. فهمت .. الفراش هو اللي بيأخذها منك بالضبط .. بالارهاب ..

لش كده .. انا لازم ..

قبل ان اكمل تهديدي في ثورتي العصبية .. انهار .. سقطت تحت

دمى باكها .. راجيا الا افتضح امره وامر الفراش والا سيلاقى من

الهيوان الران ..

هلت .. صعقت بما سمعت .. من الخوف الذي يعانى به هؤلاء الابرياء

الضائعون في الحياة ومن الحياة .. صرخت صرخات مكتومة .. مقيدة

.. كنت بين امرين كلاهما شر ...

ل اطلب هؤلاء الذئاب البشرية الفاربية لاواجههم بحقيقتهم البهعة

ب سلب الحقوق الضئيلة التي اقتطعتها من قوتي الضرووي لاسعادهم

لك السعادة الباهتة .. المؤقتة .. التي لاتعوضهم ابدا لحظة

انسان .. لحظة عطف من ذويهم واحضان ابويهم ..

ردت .. تعجبت .. فكيف .. كيف يسلبونهم قروشهم البسيطة .. الا

كلهم مايعيشون فيه من حرمان وضيق وخوف من المستقبل المجهول

ليحبوا حياة ليس بها أي نوع من الرعاية أو الرقابة

الذين يكتفونهم أهمال شديد .. سواء في الغذاء وطريقة طهيهم ..

الكساء وطريقة تنظفهم وارتدائهم .. المعيشة العامة والاهمال

والاستهتار الذي يهددوا بها على حياتهم أنفسهم .. انهم يهينون

بها حياة .. لا علاقة لهم بالحياة سوى تلك الصدور الهزيلة والوجوه

الشاحبة ونظرة الضياع في عيونهم الكسيرة .. الدائبة .. بها من

قلوب قدت من صخر .. أين المسئولين ؟ .. أين المشرفون .. أين

المراقبون ؟ .. لا شيء .. لا شيء ..

ارتدت من حيث يد أنت .. انها ليست أول صرخات لي في ذلك العالم

الضائع .. انها ليست أول تظلمات .. بل نداءات الى تلك القاسم

المخربة المتحجرة .. هزوت راسي في أسك وقلة حيلة .. وما هو

.. س ؟ وليس امامي وامام شكواي وتظلمي الى المسئولين عن ذلك

المكان سوى سماعي لكلمة واحدة لاثنائي لها :

.. ان سعادتك مثل عجبك النظام .. ممكن تستلهمهم .. ما عندناش

مانع .. واقسمت ساعتها بكل الادبيات وبكل القيم ان كانت لدى

القدرة على ذلك لتسلمت الملجأ بأكمله .. لكنها ضيق ذات اليد

تفهمت .. الوقت للهرة الثانية على تحركات ورجاء > اسماعيل

بالا أبوع يسره .. الذي ولا بد ان يظل هيبسا بين فئوس الضعيف

وما السائدة مادام ليس هناك حل سوى الصمود والانتظار الممل

أنحرفين لمصير مجهول .. س .. س ..

لم أجد أمامي سوى بعض الكلمات المشجعة له ولأخواته ..

وأعدت أباهم أن أقدم المساعدة على قدر الامكان وكيف أقدم مساعدة
 بهر أن أحضر لهم بعضا من الغذاء الرئيسي اليومي .. وجدت نفسي
 تتساءل للمرة الثانية .. كيف ذلك ؟ وأنا المحدودة الدخل ..
 لمساعدة المسكين عنهم .. فكم يعلم الله ما أعانني من مشقة مسكن
 زحام المواصلات وبيع المسافلات بيننا وأنا الوحيدة وسط عالم
 الوحوش البشرية التي لا هم لها غير الجري وراء جمع المال لانفاقه
 على الملذات .. غير عابئين بهؤلاء الأبرياء .. الضالين بلا ماوى
 أو سند في الحياة سوى تلك الجدران الحجرية المتهاككة .. العفنة ..
 القدرة بها فيها من جماد وبشر ..

انصرفت باكيا فو همت مرير على مفد .. انطلقت كالسهم .. هاربة
 الله .. ولى الصبر ...

ترددت على الملجا في زيارات متباعدة متعمدة ذلك على لاوى ولا
 اسمع ما ترفضه عيني وتلفظه اذنى .. فكم كان يزيدي منظرهم ههنا
 فوق همى .. بل حزنا يعلو احزاني .. تابعت في شغف واضطراب اخبار
 نتائج الثانوية العامة .. كنت اول وآخر المهنئين له كم مسع ذلك
 الخبر السعيد احزان سنين ملو ال وعذاب عمر باكيله فقد نجح
 <اسماعيل> في الثانوية العامة وبتفوق ...

... هيه .. وابه رأيك عابيز تدخل كلية ابيه ..

هههه .. لا تسخرى منى ولا تهزئى بي .. اريد .. اطلب .. اريد ان اكون

لهيبها ...

فتحت فاهي .. ابتمت وسط دهشتي .. ضمته لصدري .. ضللت بده

في فخر فلو كان لي ابن لما سعدت به هكذا .. سألته ..

- ليه .. اشمعني الملب يا اسماعيل ! بالذات ؟ احنا مايزين نختصر

الطريق والطلب كلية هالة ولويطة ..

باما .. ارجوك من فضلك .. ان حاسس ان ابويا مات من اهمال الاطباء

وسخر بيتهم بالغلابا الفقراء .. وانا ساركن رسالتي في الملب على خدمة

الفقراء .. لاعوضهم حرمانهم .. واعوض ابي بملايين الآباء وامي ايضا ..

- سعيدة .. سعيدة بك حقا .. ولم .. ولن امانع ابدا في اختيبارك

وتكميل المشوار وانا معك حتى لو حرمت نفسي من الطعام من أي شيء

انا فخورة بك ..

لمحت في عيونك اضطراب وحيرة .. تردد مع بسمة حزينة .. سألته في

استفسار ملع ...

- طلب دلوكت ليه الدموع دية والقلق ده ..

رد في كحل ..

- مالميتش بس <<سيدة>> اختي

رددت في لهفة

- مالمها .. في ابيه ؟ انا فرحتي بيك نستنى السؤال عن اخوانك ...

ايه مالمها <<سيدة>> ؟

- بقائلها <<اسبوعين>> هربانة .. مش لاقبها .. دلبيه اشاعة انها

بتشتغل خدمة عند ناس ..

لم أتعجب لسبب هروبها .. فقد هربت من ضياع صغير الى ضياع

اكبر .. بل ربها تجد نفسها في الخارج ..

ازداد عجبى عنها وجدته غيبى عابىء بها .. بل يلفتني لها الاعداد

من تلك المعاملة .. وذلك الحرمان البشع الذي يهتك لونه .. أين تشبه

منه حتى الى الجحيم .. انصرفت بعد أن هداته واعدة ابساء ان

أحاول بكل قوتي البحت عنها في كل مكان .. لم أكن صادقة بكل

الصدق في وعدى هذا فقد اختارت <<سيده>> طريقها وربها ليهو راحتها

.. قلها الله وهو خير معين .. طوت الابهام بعضها البعض .. وهمة

.. رابت اننى أطلب في غيبتى على زبارة الملجأ حاصى اننى رابت

رؤى شبيهة بصورة <<سيده>> علمت منها أنها تعمل راقصة في احد

<<كباريهات>> الدرجة الثالثة .. دفعتى فضولى لتسأل عنها ..

البيت <<اسماعيل>> .. رابته يتهلل لرؤيتى .. سعيدا بلقائى وقد

أسعدنى لقاءه .. سألته عن اخواته فقد كان البعض يرفض لقائى

او يتهرب منى .. لم أدر السبب .. لقد قسرتهم بأنهم يهملون مسكن

بشئهم .. المهم الاممئنان عليهم ولو من بعيد .. اما عن اخواته

المغار فقد كان يخطبهم منى بعض الحلوى التى كانوا يسعدون بها في

براءة وطفولة كسيرة .. تساءلت

- <<اسماعيل>> ابيه اخبار اختك <<سيده>> .. ألم تهتدى اليها ..

نعم .. انها تعمل راقصة في احد <<الكباريهات>> ..

.. سألت عنها فلم أستطيع مقابلتها .. ربما فجلت منى بعد أن

خدعها سيدها الذى خدمت عنده .. بعد أن وعدتها بالزواج كان عهد

.. ربما أحبته بجنون ولم تستطع أن ترجع عن طريقها للطريق السليم

فانحرفت مع تيار آخر .. لم استطع إرجاعها عنه .. حتى بعد أن نجحت

فى مقابلتها عدة مرات .. وأهى بتقول أنه فن .. هى حرة ..

سألته عن أخيه <<سيد>> فقد كان فى بداية دراسته لا يهتم بها .. فسير

مكثرت بالعلم والتعليم .. يرفع همه فى تعليم حرفة .. فقال ..

- <<سيد>> أعلم <<النجارة>> وأصبح ناجحاً وعظيماً فى حرفته الجديدة

والجميع هنا يحبه ويشكرون فيه دقة صنعة ..

سعدت لذلك .. أسعفتنى لأكرمنى باسم أحد أخواته

- <<سميرة>> أبه أخبارها .. زمانها كبرت

- <<سميرة>> اتجوزت <<حسين>> الطباخ .. فهو بعض وسالونى فلم أجد

أن أبارك زواجهما .. وأهى فرصة ثروتها من الهم الذى أحنا فيه .. وكان

ما كانتش غاربه تعليم .. أهل عيبتها كانت ضعيفة والأشياء هنا تمام ..

اختصرت الطريق مع أنها كانت شاطره وكويسة .. لكن أهل أبه .. نهيبها

أنصرفت وأنا حزينة لهذه الأخبار عن هؤلاء الأنهار الذين كم عاشوا من

الحرمان وكم عاشوا منه .. فكل اختار بطريقه الساذجة ومنهم من فضل

الطريق عدا <<اسماعيل>> ..

مرة أخرى انقطعت عنهم مدة ليست بقصيرة فقد تركت السنين بهباتها على

صحتى الضعيفة مما أجد الصعوبة فى الاستمرار به فى الزيادة ..

ذات صباح وأنا أتناول الفطاري .. أمسكت بالجريدة بعدم اكتراته ..
 هدنى خبر مؤسف .. رهيب عن سقوط عصابة لسرقة الاطفال وتعليقهم اصول
 السرقة والتسول .. قرأت السطور بسرعة لانه شاعرة ان ابطال هذه المهنه
 اناس ضائعون .. ضحايا الحرمان والفقر .. هدنى صور بعضهم وصور امهات
 بعض الاطفال المختطفين وصور لبعض افراد هذه العصابة ..
 لا اعجب حقا ان زعيم العصابة امرأة وليس رجلا .. تابعت اخبار تلك العصابة
 لقد كانت تنشر اخبارهم بالتفصيل وعلمت ان زعيمة العصابة .. امرأة محرومة
 من الاطفال باقر .. احبت زوجها .. وضييعها حبها عندما تركها زوجها ليقترب
 باخرى لانجاب .. كان مالها الشارع فانتلفت بهذه الطريقة البشعة ..
 لكنها سرعان ما انهارت .. اعترفت بجرورها بكل صراحة ووضع عندما علمت
 ان ضحاياها اين اختبأ الذى لم تعرفه الا بعد فوات الاوان فقررت ان تنهى
 سلسلة الانتقام بالاعتراف وسلمت نفسها للشرطة مرفوعة ضميمها .. تصقت
 من مورسها المنشورة بالجريدة بعد متابعتها بكل دقة وكم كانت الحاجة
 انها هي <<سيدة>> تلك البنت البريئة الساذجة التى ضاعت مرتين ..

القيت بالجريدة فى تقزز .. انزويت فى فراش

لأبدأ مرحلة حرجة من العلاج بعد أن انهارت

صحتى تماماً

كتابات للمؤلفة

أفراح بين القبور (مجموعة قصصية) .. ثم امداره

كتابات تحت الطبع

١- الملعونة والقديس رواية

٢- الأسماك لا تحمل الموتى ... رواية

٣ - فتاة شاذة _ ترويض الذئب



الكاتبة عبرت عن مشاكل ومعاناة بعض شرائح المجتمع
المصري ومطبقاته المتفاوتة من غنى وفقير وحرمات
والنفوس المعذبة ومشاكل الشباب ومعاناتها وتطرق
الى سبل حيات المجتمع المصري ووضعت بعض الحلول شبه
المناسبة والتي تترجو أن تكون قد ولقت فيها ..

<< ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم >>

صدق الله العظيم

الزقازيقي : A ش تيمور - قسم النظام ت : ٢٢٩١٦١